

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الرقم التسلسلي :

رقم التسجيل : 171735092316

رقم التسجيل : 171735093772

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص لسانيات عامة

بعنوان :

أسلوبا النفي و الإثبات في جزء قد سمع ، دراسة وظيفية

إعداد :

حميدات عبد الرحمان

علال الحسن

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	المسيلة	أستاذ محاضر أ	عماري عز الدين
مشرفا ومقررا	المسيلة	أستاذ محاضر أ	الطاهر شارف
مناقشا	المسيلة	أستاذ محاضر أ	بوضياف أحمد أمين

السنة الجامعية : 2022\2021

الإهداء :

بسم الله و الصلاة و السلام على من جاءنا برسالة كالشمس و ضحاها
وسنة كالقمر اذا تلاها ، من إتبعهما فهو كمن يسير في وضح النهار إذا
جلاها ، ومن أضل عنهما فكم يتخبط في ظلمات الليل اذا يغشاها وبعد :

أبي الغالي ... هذا زرعك اليوم قد نبت

إلى كل من علمني حرفاً راسخاً في دنيا فانية ...

إلى روح أمي ، وروحي عبد الحق و سلسبيل ، رحمكم الله و وسع مدخلكم
وجمعني وإياكم بالجنة .

إلى صغيرتي هديل ونور.

وإلى كل أهلي و أصدقائي و زملائي وأساتذتي

راجيا من المولى عز وجل أن يجد القبول و النجاح

عبد الرحمان

إهداء:

بداية بسم الجلالة والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم
وخير الصحابة ، وبادئاً بقول من يهده الله فهو المهتد ومن يضل فلن
تجد له من دون الله ولياً ولا مرشداً ، أشهد ألا اله إلا الله وحده جل في
علاه وأشهد أن محمداً عبده ونبيه ، لا اله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي الجليل ، ولا عدوان إلا على الظالمين والحمد لله رب العالمين أما بعد
:

إلى ضياء قلبي ونور بصري محمد صلى الله عليه وسلم

إلى عبق الروح التي ا الصبر والإصرار والتحدي الذي تتساقط الكلمات
خجلاً وإكراماً له والذي الغالي

إلى التي فرشت دربي بربيع عمرها ورعتني بنور قلبها والدتي الكريمة
إلى جدتي الغالية رحمها الله

إلى من كانوا رمزا للعطاء والإخلاص التي تشرق شمسي بين أيديهم
ويتوهج نهاري بنورهم إخواني وأخواتي إلى المعادلة التي ترسم منحني
حياتي أصدقائي وزملائي في الجامعة

إلى كل من عرفناهم من قريب أو بعيد

إلى من فتح هذه الوريقات وتصفحها بعدي

شكر و عرفان :

سرنا أن نتقدم بجزيل الشكر لله تبارك وتعالى لتوفيقه لنا لكتابة هذه
الأحرف

دون أن ننسى فضل أستاذنا الذي أشرف على هذا العمل المتواضع ولم
يبخل علينا من توجيهاته و نصائحه الثمينة راجين من المولى تبارك
وتعالى أن يفتح له من أبواب الرزق أوسعها

والى كل أساتذتنا ومن علمنا

إن اللغة العربية ميزة خاصة ميزها بها الله تعالى دون لغات البشر إذ جعل الله كتابه الكريم منزلاً بها وهو المعجزة الكبرى الدالة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف والمنقول بالتواتر، فقد أنزل ببيان فصيح وعبارات جزلة ومعان عظيمة جليلة وأساليب راقية محكمة.

- و من هذا الأساليب ارتأينا أن نتطرق بالدراسة إلى أسلوب النفي والإثبات ، واتخذنا جزء قد كميدان للدراسة لاشتمالها على نماذج من هذا الأسلوب وذلك من الجانب الوظيفي والبلاغي ليكون تحت عنوان: أسلوب النفي والإثبات في جزء قد سمع _ دراسة وظيفية ، فيا ترى ما هو أسلوب النفي والإثبات ؟ وما هي وظيفتهما في القرآن الكريم؟
- و لم يكن اختيار موضوع بحثنا هذا إلا عن وعي بأهميته الكبيرة في الدراسات الوظيفية البلاغية، وكان تطبيقنا في القرآن الكريم لأنه أفضل نموذج لمثل الدراسة، ولا يوجد أفصح وأبلغ منه على الإطلاق.
- وليس من السهل الخوض في أول بحث أكاديمي منهجي يمثل مذكرة التخرج دون مواجهة صعوبات في ذلك، فمن الصعوبات التي واجهتنا قلة المراجع في الجانب البلاغي وإن لم أقل منعدمة تماماً في هذا الموضوع ،وكذلك صعوبة تحصلنا على المراجع بالجانب التطبيقي من جهة ومسألة التوفيق في تنظيم الوقت من جهة أخرى، بالإضافة إلى صعوبة التصرف في آيات الذكر الحكيم، إلا أننا تجاوزنا ذلك وحاولنا إنجاز هذا البحث المتواضع معتمدين في ذلك على المنهج الوظيفي أما عن طريقة تناولنا لهذا الموضوع، فقد كان مستهل البحث: مقدمة ، يليها فصلين ففي الفصل الأول تناولنا مدخلا نظريا لأسلوب النفي والإثبات .

- فالمبحث الأول أوردنا فيه أسلوب النفي من حيث مفهومه و أنواعه و أدواته .
- أما المبحث الثاني فقد أورد فيه التفاتة لأسلوب الإثبات أي مفهومه .
- أما بالنسبة للفصل الثاني فقد تطرقنا إلى وظائف النفي والإثبات في جزء قد سمع وقد اعتمدنا في دراستنا للموضوع على جملة من المصادر والمراجع التي ساعدتنا على انجاز هذا العمل ونذكر منها
- السيوطي، تفسير وبيان القرآن الكريم، أسباب النزول، إعداد محمد حسن الحمصي، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، دط.
- المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط 2005، 1،
- إيميل بديع يعقوب، معجم الإعراب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، دط.
- خليل بنيان الحسون، النحويون والقرآن، مكتبة الرسالة الأردن، ط 2002، 1،
- زين الكامل الخويسكي، النحو العربي، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ط 2005، 1،
- سبويه، الكتاب، ج3 ، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط 1982، 2،
- سناء حميد البياتي، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، الأردن، ط 20031

سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، دط، 1985

وعلى تواضع هذا البحث واجهته صعوبات جمة :

- ضيق الوقت

- صعوبة التعامل مع المادة العلمية لكون البنية اللغوية موضوع متشابك

وبعد حمد الله وشكره الذي أمدنا بالإرادة والعون على إتمام بحثنا هذا نتوجه بالشكر الجزيل الى الأستاذ المشرف الذي مد لنا يد العون من خلال اشرافه على هذا البحث ، كما لا يفوتنا أيضا أن نشكر كل من ساهم في إنجاح هذا العمل من قريب فان وفقنا فمن الله وان أخطأنا فمن أنفسنا .

الفصل الأول : مدخل إلى أسلوب النفي و الإثبات

- المبحث الأول : أسلوب النفي

- المبحث الثاني : أسلوب الإثبات

المبحث الأول: أسلوب النفي :

مدخل :

لقد نظر القدماء إلى النحو على أنه من العلوم المهمة والفعالة ، التي يتم الاعتماد عليها من قبل العلماء الذين يودون الوقوف أمام آيات الذكر الحكيم ، بالتحليل والتفسير ، واستخراج أحكامه وشرائعه ، كما أنه يعد دعامة اللغة العربية، وركيزتها الأساسية ، فلا يتخلى عنه المشتغلون بالدراسات الأدبية والبلاغية والنقدية وغيرها .

وينسب علم النحو إلى أبو الأسود الدؤلي، الذي يقال أنه وضعه بمشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن ذلك أولى اللغويون اهتماما بالغا وعناية فائقة بالنحو، للدور الذي يلعبه في حماية اللسان العربي من الخطأ واللحن والنحو هو إعراب الكلام العربي من تثنية وجمع وتكسير وغير ذلك ، فالقواعد النحوية بمعناها الاصطلاحي مجموعة من المعايير والضوابط المستنبطة من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن لغة العرب .

ولعل أشهر تعريف للنحو، هو ما ذكره "ابن جني" في كتابه الخصائص : "هو انتحاء سمت كلام العرب ، في تصرفه من إعراب وغيره ... ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها"¹، وأما المفهوم بالفصاحة فينطلق بها ، وإن لم يكن منهم ، وإن شذ بعضهم رد به إليها " الحديث لعلم النحو فهو علم البحث في التراكيب ، ويتناول العلاقات بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في العبارة.

¹ أبو عثمان بن جني ، الخصائص، تح: عبد الحميد الهنداوي، مج1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص34

الأسلوب:

من الضروري الحديث عن الأسلوب باعتباره عنصرا أساسيا وضروريا للتعبير، فبالأسلوب تتبين قدرة الكاتب على استعمال اللغة والتحكم في الألفاظ والعبارات . والأسلوب بوجه عام هو طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة، وهذه الطريقة تتناول الألفاظ ، فمن هذه التراكيب ما يكون معقدا ومنها ما يكون سهلا واضحا ، ومنها الموشح بضروب البيان والبديع ، ومنها البسيط المباشر الذي لا يعتني بالمحسنات المتعددة ، من هنا تظهر علاقة الأسلوب بصاحبه و بمقدرته على استعمال اللغة².

القرآن:

كتاب الله الكريم ، كان ولا يزال محل اهتمام كثير من الدارسين والباحثين ، لأنه يمثل المعجزة الخالدة ، لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، تلك المعجزة التي تحدى الله تعالى الإنس والجن أن يأتوا بمثلها ، لذلك كثرت الدراسات التي تحاول فهم هذا الكتاب العزيز لإبراز جوانب إعجازه وتلمس الظواهر الجمالية فيه.

وهو كلام الله المنزل بواسطة جبريل عليه السلام، على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، المتعبد بالتلاوة، والمنقول إلينا بالتواتر وهو كلام الله معنا ولفظا . وهناك تعريف للقرآن نفسه بنفسه ، وذلك من خلال قوله تعالى : " إنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، وإنه لفي زبر الأولين "

الإسراء الآية 6

² محي الدين ديب ، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003، ص38

مفهوم النفي :

أ. لغة :

يقول "ابن منظور" في مادة نفي في لسان العرب : " نفي الشيء، ينفي، نفيًا:

تَنَحَّى، ونفيته، يقال: نفين الرجل وغيره، أن فيه نفيًا، إذن طردته.

قال تعالى : " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " سورة المائدة، الآية:33

قال بعضهم : معناه :من قتله، فدمه هدر. أي لا يطالب قاتله بدمه، وانتقى منه تبرًا، ونفيان

السحاب: ما نفته السحابة من مائها فأسالته، ونفيت الدراهم: أتردها للانتقاد³

ويرى " إيميل بديع يعقوب" أن النفي : هو الجحد والإنكار⁴

ب . اصطلاحا :

تستعمل كلمة النفي في الاصطلاح النحوي استعمال كلمة "الجحد"، إذ عرفه النحاة، بأنه ما لا ينجزم، وهو الإخبار عن ترك الفعل، وقد عرفوا الجحد: بأنه ما انجزم بلم لنفي الماضي، وهو الإخبار عن ترك الفعل في الماضي، وواضح مما سبق أن النفي أعم من الجحد بالرغم من أنهما بمعنى واحد، ولكن النفي أعم وأكثر استخداما

³ ابن منظور، لسان العرب ج13، دار صادر، بيروت، ط2005، ص5، ص329

⁴ إيميل بديع يعقوب، معجم الإعراب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط، ص376

والنفي يهدف به المتكلم لإخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى عكسه وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى ضده، وذلك بصيغة تحتوي على ما يفيد ذلك، أو بصرف ذهن السامع إلى ذلك الحكم عن طريق غير مباشر. من المقابلة أو ذكر 5 الضد، أو بتعبير يسود في مجتمع ما فيقترن بـ ضد الإيجاب والإثبات⁵

أساليب النفي :

النفي أسلوب من أساليب اللغة العربية، يراد به نقض فكرة و إنكارها ، وهو ضد الإثبات ويقسم إلى قسمين : أ- النفي الصريح . ب - النفي الضمني .

11 النفي الصريح :

نقسم هذا القسم إلى أبواب تبعاً لزمن النفي وفق الأغلب والأعم من الاستعمال :

أ - النفي في الحال :

وأدواته : لا ، ليس ، ما ، إن ، لات

وقد بدئ بـ "لا" لكثرة الحديث فيها وتشعبه، ولأن حملها على ليس - كما قيل - قليل، ثم كانت "ليس" بعدها، ثم ما حمل عليها بمعنى إعطاؤه أحكامها لا القياس لأن اللغة لا تثبت بالقياس، وهي تشابه "ليس" في نفي الحال والجمود، والدخول على الجمل الاسمية.

ب - النفي الماضي : ومن أدواته : لم، لما .

ج - النفي في المستقبل ومن أدواته : لن .

12 النفي الضمني:

⁵ جمال محمد النحال: أساليب النفي والتوكيد في شعر رثاء شهداء الأقصى، ص02.

هذا النوع من النفي لم يلق الاهتمام الكبير من النحاة القدامى، ألن النفي الضمني اتجاه في فضلاً عن أهم وظيفة للنحو و هي النظر في أواخر البحث ليس من اللازم أن يطرقه كل كاتب، الكلمات وعلل ضبطها، كما أن النفي الضمني قد تدل عليه كلمة في سياق ما ولا تدل عليه الكلمة نفسها أو مشتقاتها في سياق آخر. كذلك قد يفهم النفي ضمناً من الأسلوب أو الكلام الصادر من المتكلم دون أن تعبر عنه كلمة بعينها.⁶

وقد يدل على النفي الضمني أفعال الظن، ولهذا يجيء الفعل منصوباً بعدها بفاء السببية إلحاقاً لها بالنفي. كما في حكاية سيويه "حسبته شتمني فأثب" - بالنصب - عليه، والمعنى أنه لو شتمني لو ثبت عليه فلم يكن إذن وثوب ولم يكن شتم،

وان كان الوثوب قد وقع فليس إلا الرفع في "فأثب". لأن هذا بمنزلة قوله: ألسنت قد فعلت فأفعل؟ بالرفع فالفعل وجوابه هما اللذان يحددان دلالة الأسلوب على نفي وقوع الجواب أو إثباته.

• والحرف "كأن" في غالب استعماله يفيد التشبيه، غير أنك تقول: "كأنك وال علينا فتشتمنا". فتتصب إن أردت: ما أنت وال، فإن قصد منه التشبيه الحقيقي فال نصب. فقد اشتهر أن "كاد" إثباتها نفي، نفيها إثبات وليس بصواب، فحكمها حكم سائر الأفعال ومعناها منفي إذا صحبها حرف منفي، وإذا قيل لم وثابت إذا لم يصحبه فإذا قيل مثال: كاد زيد يبكي، فمقاربة البكاء ثابتة أما البكاء فمنتف، يكذب يبكي فمعناه: لم يقارب البكاء، فمقاربة البكاء منتفية والبكاء نفسه منتف انتفاء أبعد من ثبوت المقاربة. وتسمى "كاد" والفعل "أوشك" و "قرب" أفعال المقاربة، والغالب أن يكون خبرها جملة فعلية، وتحمل معنى النفي. كاد يفعل

⁶ أحمد ماهر البكري: أساليب النفي في القرآن، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية 1989، ص128.

إذا لم يكن قد فعل، ذا أو كان معه حرف نفي يكون لما وقع ويكون قريباً من ألا يكون نحو قوله تعالى: "وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَاكَ لَقَدْ كُنَّا تَرَكْنَا إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا" الإسراء 74

ولا فرق بين أن يكون حرف النفي متقدماً على "كاد" أو متأخراً

من هذا يتبين أن "كاد" في بعض استعمالها تفيد النفي ضمناً بينما ال تفيده في استعمال آخر⁷ وتقول العرب: "فلما رأيت مثل هذا قط" وقد روى عنها سماعاً منها "مررت ببلاد فلما تنبت إلا الكراث و البصل" يعني ما تنبت غيرهما، والنفي هنا إنما يستفاد من فحوى الكلام لأن الفعل يحتمل الإثبات والنفي في معناه الأصلي⁸

- أدوات النفي :

الأداة عبارة عن كلمة تستعمل للربط بين الكلام أو للدلالة على معنى في غيرها و تشترك هذه الأدوات على أنها تدل معنى وظيفي عام هو التعليق، ثم يخصص كل منها تحت وظيفة معينة كالنفي والاستفهام والترجي والنداء والقسم وغيره، وأدوات النفي كالاتي :

• لا:

• وتعد أصل أدوات النفي، تدخل على الجمل الاسمية والفعلية و هي لنفي الماضي

والمضارع وهي نافية غير عاملة عند دخولها على الماضي ويشترط أن تتكرر

قال تعالى ، "لا صدق ولا صلى" القيامة 31 وعندما تتكرر تكون للدعاء⁹

وهي تعمل عمل (إن) لمشابهتها في التوكيد فإن "لا" لتوكيد النفي¹⁰

⁷ حمد ماهر البقري: أساليب النفي في القرآن، ص130-131

⁸ جمال محمد النحال: أساليب النفي والتوكيد في شعر رثاء شهداء الأقصى، ص14-15.

¹ محسن علي عطية، الأساليب النحوية عرض وتطبيق، ط1، دار المناهج، عمان، الأردن، 2007م، ص 187.

¹⁰ الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، 1992م، ص (290-292).

• ليس :

وهي فعل ماض ناقص جامد، يرفع الاسم وينصب الخبر فهي مختصة لنفي الحال إلا إذا قيدت بما يفيد الماضي أو الاستقبال، فتكون لما قيدت به نحو: "ليس علي مسافراً أمس أو غداً (وهي فعل ماض للنفي، مختصة بالأسماء يشبه الحرف، ولولا قبولها علامة الفعل نحو (ليست، ليسا، ليسوا، لسنا، لسن) لحكمتنا بحرفيتها¹¹.

يقول تبارك وتعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) (التين : 8).

و قوله تعالى(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) (البقرة : 177).

• ما :

ثلاثة أنواع، تدخل على الجملة الفعلية والجملة الاسمية كما يأتي :

— "ما" الداخلة على الفعل الماضي :وهي تنفي وقوعه في الزمن الماضي، وال

تؤثر فيه من حيث الإعراب، وتسمى نافية غير عاملة، ونفيها غير مؤكد إلا إذا

سبقت بقسم. نحو قوله تعالى: (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) المائدة : 19 ولمعرفتها

يمكن وضع "لم" والفعل المضارع محلها فيستقيم المعنى.

— "ما" الداخلة على الفعل المضارع :وهي تنفي وقوعه في الزمن الحاضر، لذلك لا

يجوز ذكر "الآن" معها، فعند قولك :ما أسافر معك، أي "الآن" ولا داعي لذكر القرينة،

وهي لا تؤثر في ما بعدها من الناحية الإعرابية، ومثال ذلك قوله تعالى : "يَعِدُّهُمْ

¹¹ -مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، دار الشرق العربي، الطبعة الأولى، 2006. ص 181

وَيُؤْمِنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا" النساء : 120 ، ولمعرفتها يمكن وضع "لا" محلها فيستقيم المعنى¹²

— "ما" الحجازية :حرف نفي عامل، تعمل عمل ليس، وسميت حجازية لأن أهل الحجاز هم الذين أوجدوها وهذه تختص بالدخول على الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر)، فتتفي اتصاف اسمها بخبرها. فتبقي المبتدأ على ارتفاعه ويسمى "اسمها"، وتتصب الخبر ويسمى "خبرها"، مثل "ما رأيك في هذا المدرس مصيبا". أما في لغة التميميين فإنها لا تعمل، أي لا تتصب الخبر في الجملة الاسمية بل يبقى مرفوعا¹³

— شروط عملها :

وحتى تعمل هذا العمل يجب أن تتوفر أربع شروط

— أن لا يتقدم خبرها على اسمها، فإذا ما تقدم بطل عملها، كقولهم: (ما مسيء من أعتب)

— أن لا يتقدم معمول خبرها على اسمها، فإن تقدم بطل عملها، نحو: (ما أمر الله أنا عاص)، إلا أن يكون معمول الخبر ظرفا أو مجرورا بحرف جر، فيجوز، نحو: (ما عندي أنت مقيما) (و ما بك أنا منتصرا).

— أن لا ينتقض نفيها بـ"إلا" أو أي أداة استثناء أخرى كـ"سوى وغير".

— أن لا يفصل بينها وبين اسمها بـ"إن" الزائدة.

¹² -حارث عادل محمد زيود: بناء الجملة الفعلية بين النفي والإثبات في سورة آل عمران ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين. سنة 2008. ص 59

¹³.عبد الجبار فتحي زيدان: دراسات في النحو القرآني، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد القاهر ط1، 2006 ص 150

• إن :

إن أنواع منها النافية ومنها غير النافية، ولكي نميز النافية من غير النافية نستبدلها بأداة نفي معينة، فإن استقام المعنى فهي نافية، و ان لم يستقم فهي غير نافية

أ - تدخل على الفعل الماضي، وتسمى نافية غير عاملة داخلة على الفعل الماضي، وتنتفي وقوعه في زمن الماضي. نحو قوله تعالى: (إن أردنا إلا الحسنى) التوبة : 107 و إعرابها: إن نافية غير عاملة داخلة على الفعل الماضي .

ب - تدخل على الفعل المضارع، وتنتفي وقوعه في زمن الحاضر والمستقبل، وتسمى نافية غير عاملة، داخلة على الفعل المضارع. نحو قوله تعالى: (إن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) الأنبياء 109، (إن يتبعون إلا الظن) النجم : 28 .

ج- نافية عاملة، إذا جاء بعدها جملة اسمية "مبتدأ وخبر"، فإنها تعمل عمل ليس، ترفع المبتدأ وتتصب الخبر، وذلك بشروط :

حرف نفي يعمل عمل إن ليس بشرطين :¹⁴

- أن لا يتقدم خبرها على اسمها، فإن تقدم بطل عملها
- أن لا ينتقض نفيها ب "إلا" فإن اختل أحد الشرطين، بطل عملها وأصبحت نافية غير عاملة، داخلة على الجملة الاسمية، وهي الأكثر ورودا في اللغة العربية. نحو قوله تعالى: "إن الكافرون إلا في غرور" (الملك : 20) ، "إن عليك إلا البلاغ" (الشورى : 48).

¹⁴ - مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، دار الشرق العربي، الطبعة الأولى، 2006 ص396

أنواع إن غير النافية:

أ - إن شرطية جازمة، وهي أداة جزم تجزم فعلين فعل الشرط وجواب الشرط، نحو قوله تعالى: "إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم و إن أسأتم فلها" (الإسراء : 7).

ب - إن زائدة للتوكيد، ويصح حذفها وتسبق دائماً بـ "ما النافية" (ما إن)، نحو قول الشاعر :
 ما إن رأيت ولا سمعت بمثله *** درا يعود إلى الحياء عقيماً. "ابن عبد ربه"

• لات :

حرف نفي، أصله "لا" ثم زيدت عليها التاء كما زيدت في "ثمت" و"ربت" هذا مذهب الجمهور، وقيل :هي مركبة من "لا" والتاء .

لات: حرف نفي يعمل عمل ليس يرفع الأول وينصب الثاني, ولا يعمل هذا العمل إلا بشرطين :أ- أن يكون اسمها وخبرها من أسماء الزمان، وفي أغلب الأحيان يأتي بعدها إحدى هذه الألفاظ "أوان, ساعة, حين, زمن" مثال: ندم البغاة ولات ساعة مندم .

ب- أن لا يجتمع اسمها وخبرها, فلا بد من حذف أحدهما, والأغلب أن يحذف الاسم، كقوله تعالى: كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ" (ص : 3)

لات : حرف نفي يعمل عمل ليس, حين : خبر "لات" منصوب, واسمها محذوف تقديره "الحين"¹⁵.

¹⁵ الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2 1983 ، ص485

لم:

حرف نفي وجزم وقلب، تدخل على الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع، فتتفي الحقيقة المتضمنة فيها في الزمن الماضي، وقد يمتد النفي إلى زمن الكلام وفي حالات خاصة، يشمل النفي بها كل الأزمان، مثل قوله تعالى "لم يلد ولم يولد". وهي تجزم الفعل المضارع، فإن كان صحيح الآخر، كانت علامة جزمه السكون، مثل قوله تعالى "ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون" وإن كان معتل الآخر، كانت علامة جزمه حذف حرف العلة، مثل قوله تعالى: "ألم تر إلى ربك كيف مد الظل"، "تر" فعل مضارع مجزوم بـ "لم" وعلامة جزمه حذف حرف العلة

وإن كان من الأفعال الخمسة، كانت علامة جزمه حذف نون الإعراب، مثل قوله تعالى: "قالت الأعراب آما قل لم تؤمنوا" ("تؤمنوا" فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف نون الإعراب)، وقوله أيضا: "إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا". والنفي "لم" أوكد من النفي "بما". وذلك لأن "ما" تحتاج إلى قسم لتوكيد نفيها، ومثال ذلك: ملاحظة: إذا سبقت "لم" بأداة شرط فهي حرف جزم ونفي فقط، ولا تقلب زمن الفعل إلى الماضي.

قال الشاعر "بشر الفزاري":

لا خير في حسن الجسوم وطولها * * * إذا لم تزن حسن الجسوم عقول

لما:

حرف نفي وجزم وقلب، ويمتد النفي به حتى زمن التكلم، وقد يتوقع حصوله في المستقبل .
ومثال ذلك :

قوله تعالى : " قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (الحجرات 14)

"لَمَّا" : أداة نفي وجزم وقلب، "يدخل": فعل مضارع مجزوم

وقوله تعالى: "وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (الجمعة 3) لم أداة نفي وجزم وقلب، يلحقوا: فعل مضارع مجزوم¹⁶.

-لن:

أجمع النحاة أن "لن" حرف نفي، ينصب الفعل المضارع ويحول زمنه إلى المستقبل. واختلفوا فيها، فذهب سيبويه، وجمهوره إلى أنها بسيطة غير مركبة ، وذهب الخليل والكسائي إلى أنها مركبة، وأصلها (لا أن) ، حذفت همزة أن ، تخفيفاً ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين تختص بالدخول على الجملة الفعلية، فتنصب الفعل المضارع، وعالمة نصبه الفتحة الظاهرة إذا كان صحيح الآخر أو معتل الآخر بالواو أو الياء، مثل قوله تعالى " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " (التوبة:51) وقوله أيضا " وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (الكهف 14) .

¹⁶ إبراهيم قلاتي: قصة الإعراب - الأدوات، المكتبة الوطنية الجزائرية، دار الهدى، الجزائر، بدون طبعة، بدون سنة.ص185 . 186

والفتحة المقدره إذا كان معتل الآخر بالألف، وحذف نون الإعراب إذا كان من الأفعال الخمسة، مثل قوله تعالى: " فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ " (التوبة 83).¹⁷

المبحث الثاني : أسلوب الإثبات :

مفهوم الإثبات:

أ . الإثبات لغة:

ثبت الشيء ثباتا وثبوتا، وأثبته غيره وثبته، بمعنى. ويقال: أثبتته السقم ، إذا لم يفارقه ، وقوله تعالى { ليثبتوك } أي يجرحوك جراحة لا تقوم معها ، وثبت الرجل في الأمر واستثبت بمعنى ، ورجل ثبت ، أي ثابت القلب يقال رجل له ثبت عند الحملة ، بالتحريك أي ثبات وتقول أيضا : لا أحكم بكذا إلا بثبت أي بحجة ، و الثبيت : الثابت العقل قال طرقة.

و الهبيت لا فؤاد له و الثبيت قلبه، قيمه

نقول منه : ثبت بالضم ، أي صار ثبيتا . ثنت اللحم بالكسر ، أي أنتن ، ونثت مثله . بتقديم النون¹⁸

ب . الإثبات اصطلاحا:

هو الحكم بثبوت شيء آخر¹⁹.

¹⁷ الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني، ص270

¹⁸ الجوهري (اسماعيل بن حماد) ، الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية تح . أحمد عبد الغفور عطار ، ط4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1990 ، ص 245 .

ويعرف كذلك بأنه الحكم بوجود أمر ، وضده النفي فجملة " الصدق نافع " كلام مثبت وجملة " لا ينفع الكذب " كلام منفي²⁰.

الجملة والكلام:

الأصل في الكلام هو الخبر و الذي يقسم عند علماء البلاغة إلى "إثبات " و "نفي " ، "اعلم أن معاني الكلام كلها معاني لا تتصور إلا فيما بين شيئين ، و الأصل والأول هو "الخبر " لأنه ينقسم إلى "إثبات " و "نفي " و " الإثبات " يقتضي مثبتا ومثبتا له و "النفي " يقتضي منفيًا و منفيًا عنه فلو حاولت أن تتصور إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبتا له ومنفي عنه ، حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في وهم . ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد استناده إلى شيء مظهر أو مقدر وكان لفظك به إذا أنت لم ترد ذلك ، وصوتا تصوته سواء.²¹

"فلما كان الإثبات معناه أن تسند شيء إلى آخر إثباتا وهو ما يعبر عنه بالإسناد وهو الجملة فلقد ساوى كثير من النحاة بين مصطلح الجملة و الكلام من بينهم سيوبه وابن جني و المبرد و الزمخشري، و يقول ابن يعيش: "الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في قولك زيد أخوك وبشر صاحبك أو في فعل واسم نحو قولك ضرب زيد وانطلق بكر ويسمى الجملة".²²

¹⁹ الجرجاني (علي بن محمد الشريف) التعريفات ، ساحة رياض الصلح ، بيروت ، 1985 ، ص7

²⁰ إميل بديع ، ميشال عاص ، المعجم المفصل في اللغة و الأدب ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1987 ، مجلد 1 ، ص 40

²¹ الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الحمان بن محمد)، دلائل الاعجاز ، ط5، مكتبة الخانجي ، القاهرة 2004 ، ص 527.

²² بن يعيش (ابن علي)، شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، ج1 ص 18.

وهناك من فرق بين الجملة والكلام كابن هشام إذ يقول: "الكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه و الجملة عبارة عن الفعل وفاعله ك: "قام زيد" و المبتدأ وخبره كزيد قائم. فالجملة عنده أعم من الكلام²³.

كما تتنوع تعاريف الجملة عند المحدثين: "الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى لكلام المفيد في أي لغة من اللغات وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه ثم هي الوسيطة التي تنقل ما جاء في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع والجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه"²⁴

أما فيما يخص أقسام الجملة العربية فلها أنواع وأقسام عديدة فيقسمها ابن هشام إلى اسمية وفعلية وظرفية، وزاد الزمخشري وغير الجملة الشرطية.²⁵

أما علماء المعاني فيقسمون الجملة إلى خبرية وتشمل الجمل المثبتة والمنفية والمؤكددة وإنشائية وتشمل الجمل الطلبية والشرطية و الإفصاحية.

²³ ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1991 ،

ج2 ، ص 431

²⁴ مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد و توجيه ، ط2 ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص (31 33) .

²⁵ بن هشام الأنصاري ، معنى اللبيب عن كتب الأعراب ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1991 ، ج2 ،

ص 433 .

الفصل الثاني : وظائف النفي و الإثبات في

جزء قد سمع.

- المبحث الأول : وظائف النفي في جزء قد سمع.
- المبحث الثاني : وظائف الإثبات في جزء قد سمع .

المبحث الأول : وظائف النفي في جزء قد سمع

مدخل :

من خلال المصحف الشريف ، فقد قسم القرآن الكريم إلى ثلاثين جزءا ، بجزء لكل حزبين كما قسم الجزء إلى أربعة أرباع وثمانية أثمان ، ويسمى كل جزء بما أتى في بدايته ، وتتغير أسماء بعض الأجزاء بحسب اختلاف طبعة المصحف .

وسمي جزء قد سمع بجزء المجادلة أيضا في بعض المصاحف ، ومن سوره :

أولا : سورة المجادلة :

بين يدي السورة :

جاء في تفسير التحرير و التتوير لمحمد الطاهر بن عاشور أن تسمية سورة المجادلة بكسر الدال أو بفتحها كما سيأتي ، وتسمى سورة قد سمع وهذا الاسم المشتهر في الكتاتيب في تونس وسميت في مصحف أبي كعب ب"سورة الظهار "

ووجه تسميتها "سورة المجادلة " لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس بن الصامت لدى النبي صلى الله عليه وسلم في شأن مظاهرة زوجها¹

أغراضها :

الحكم في قضية مظاهرة أوس بن الصامت من زوجه خولة . وإبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها وأن عملهم مخالف لما أراده الله وأنه من أوهامهم وزورهم التي كبتهم الله بإبطالها . وتخلص من ذلك إلى ضلالات المنافقين ومنها مناجاتهم بمرأى

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، الدار التونسية للنشر ، دط الجزء 28 ص 5

المؤمنين ليغيضوهم ويحزنوهم ومنها موالاتهم اليهود . وحلفهم على الكذب وتخلل ذلك التعرض لأداب مجلس الرسول وشرع التصديق قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء على المؤمنين في مجافاتهم اليهود والمشركين وأن الله ورسوله وحزبهما هم الغالبون¹

ب : أسلوب النفي في سورة المجادلة :

ورد أسلوب النفي حسب أدوات النفي في سورة المجادلة كالآتي :

النفي بلم :

- " فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ^ع " (المجادلة 4) ، أتى النفي بصيغة الشرط اذ قال بعض أهل التأويل : الآية فيها تقديم وتأخير ، والمعنى : « والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودن « إلى ما كانوا عليه من الجماع "فتحري رغبة " لما قالوا ، أي فعليهم تحرير رقبة من أجل ما قالوا ، فالجار في قوله : " لما قالوا" متعلق بالمحذوف الذي هو خير الابتداء وهو عليهم ، قاله الأخفش ، وقال الزجاج : المعنى ثم يعودون إلى إرادة الجماع من أجل ما قالوا ، وقيل : المعنى : الذين كانوا يظهرون من نسائهم في الجاهلية ، ثم يعودون له كانوا قالوه في الجاهلية في الإسلام فكفارة من عاد أن يحرق رقبة ، القراء : اللام بمعنى عن والمعنى : ثم يرجعون عما ما قالوا ويريدون الوطاء ، وقال الأخفش : لما قالوا وإلى ما قالوا واحد ، واللام وإلى يتعاقبان ، قال : « الحمد لله الذي هدانا لهذا » (الأعراف 43) وقال : «

¹ المرجع السابق ص 6

فأهدوهم إلى صراط الجحيم « (الصافات 23) وقال : « بأن ربك أوحى لها » (الزلزلة 5)
 وقال : (وأوحى إلى نوح « (هود 36) 1

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى (المجادلة 8) قوله تعالى : " ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، فلا يخفى عليه سر ولا علانية " ما يكون من نجوى " قراءة العامة بالياء ، لأجل الحائل بينهما ، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع والأعرج وأبو حيوة وعيسى « ما تكون « بالتاء لتأنيث الفعل ، والنجوى : السرار ، وهو مصدر ، والمصدر قد يوصف به ، يقال : قوم نجوى أي ذوو نجوى ، ومنه قوله تعالى : " وإذ هم نجوى " (الاسراء 48) وقوله تعالى : « ثلاثة » خفض بإضافة "نجوى" إليها ، قال الفراء " ثلاثة " نعت للنجوى فانخفضت وإن شئت أضفت « نجوى » إليها ، ولو نصبت على إضمار فعل جاز ، وهي قراءة ابن أبي عبلة « ثلاثة » و « خمسة » بالنصب على الحال بإضمار يتناجون ، لأن نجوى يدل عليه ؛ قاله الزمخشري ، ويجوز رفع " ثلاثة " على البدل من موضع « نجوى » ثم قيل : كل سرار نجوى ، وقيل : النجوى ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً ويتناجون به ، والسرار ما كان بين اثنين "إلا هو رابعهم" يعلم ويسمع نجواهم ، بدل عليه افتتاح الآية بالعلم ثم ختمها بالعلم ، وقيل : النجوى من النجوة ، وهي ما ارتفع من الأرض ، فالمتناجيان يتناجيان ويخلوان بسرهما كخلو المرتفع من الأرض عما يتصل به والمعنى : أن سمع الله محيط بكل كلام ، وقد الله مجادلة المرأة التي ظاهر منها زوجها ه ولا أدنى من ذلك ولا أكثر « قرأ سلام ويعقوب وأبو العالية ونصر وعيسى بالرفع موضع « و من نجوى » قبل دخول « من » لأن تقديره ما يكون نجوى « ثلاثة يكون مرفوعاً على محل « لا » مع « أدنى » كقولك : لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الحول مضي في « البقرة » بيان هذا مستوفى ، وقرأ الزهري وعكرمة « أكبر » بالياء والعامة

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الحديث القاهرة ، ط 2002 مجلد 9 ص 232

بالتاء وفتح الراء على اللفظ وموضعها جر ، وقال الفراء في قوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو نعيم ولا خمسة إلا هو سادسهم » قال : المعنى غير مصمود ، والعدد غير مقصود ، لأنه تعالى نما قصد وهو أعلم أنه مع كل عدد قل أو أكثر ، يعلم ما يقولون سرا وجهرا ولا تخفى عليه خافية ، فمن أجل ذلك اكتفى بذكر بعض العدد دون بعض ، وقيل : معنى ذلك أن الله يعلمه حيث كانوا من غير زوال ولا انتقال ، ونزل ذلك في قوم من المنافقين كانوا فعلوا شيئا سرا فأعلم الله أنه لا يخفى عليه ذلك ، قاله ابن عباس ، وقال قتادة ومجاهد : نزلت في اليهود م ينبئهم * يخبرهم « بما عملوا » من حسن وسيئ " يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم

1»

• فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (المجادلة 12) جاء في صفوة التفسير : "...أي فإن

لم تجدوا ما تتصدقون به فإن الله يسامحكم ويعفو عنكم ، لأنه لم يكلف بذلك إلا القادر منكم (أشفقتم أن تُقدموا بين يدي نجواكم صدقات عتاب للمؤمنين رقيق رقيق أي أخفتم أيها المؤمنون الفقر إذا تصدقتم قبل مناجاتكم للرسول صلى الله عليه وسلم والغرض : لا تخافوا فإن الله يرزقكم لأنه غني بيده خزائن السموات والأرض ، وهو عتاب لطيف كما بينا ، ثم نسخ تعالى الحكم تيسيراً على المؤمنين فقال « فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم » أي فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به وشق ذلك عليكم ، وعفا الله عنكم بأن رخص لكم مناجاته من غير تقديم صدقة « فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة » أي فاكتفوا بالمحافظة على الصلاة ودفع الزكاة المفروضة « وأطيعوا الله ورسوله أي أطيعوا أمر الله وأمر رسوله في جميع أحوالكم »

¹ المرجع السابق ، ص 238

والله خبير بما تعملون ﴿ أي محيط بأعمالكم ونياتكم قال المفسرون : نسخ الله ذلك تخفيفاً على العباد¹

- **لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ (المجادلة 13)** ، جاء في تفسير القرطبي "...قوله تعالى : " فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم " أي نسخ الله ذلك الحكم ، وهذا اللين وجد ما يتصدق به » فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة « فنسخت فرضية الزكاة هذه الصدقة ، وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل ، وما روى عن علي فرقه ضعيف ، لأن الله تعالى قال : « فإذ لم تفعلوا ، وهذا يدل على أن أحدا لم يتصدق بشيء ، والله أعلم " وأطيعوا الله " في فرائضه " ورسوله " في سننه ه والله خبير بما تعملون²

" **لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (المجادلة 14)** جاءت أداة النفي "لم" بعد ألف الاستفهام ويقول علي الصابوني في تفسير هذه الآية: "... نسخ الله الحكم تيسيراً على المؤمنين فقال « فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ﴿ أي فإذا لم تفعلوا ما أمرت وشق ذلك عليكم ، وعفا الله عنكم بأن رخص لكم مناجاته من غير تقديم صدقة « فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة « أي فاكتفوا بالمحافظة على الصلاة ودفع الزكاة المفروضة"³

النفي ب"لا" :

- **فَلَا تَتَّجِرُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ (المجادلة 9)** قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا با أيها الذين آمنوا إذا تتاجيتم - نهى المؤمنين أي يتتاجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال : « يا أيها الذين آمنوا إذا تتاجيتم « أي تسارتم « فلا تتتاجوا» هذه قراءة العامة ، وقرأ

¹ محمد علي الصابوني ، صفوة التفسير ، دار القرآن الكريم بيروت ط 1981 مج3 ص 341 342

² أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 249

³ محمد علي الصابوني ، صفوة التفسير ص 343

يحيى بن وثاب وعاصم ورويس عن يعقوب « فلا تنتجوا » من الانتجاء " بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر « أي بالطاعة " والتقوى " بالعفاف عما نهى الله عنه ، وقيل : الخطاب للمنافقين ، أي يأيها الذين آمنوا بزعمهم ، وقيل : أي يأيها الذين " واتقوا الله الذي إليه تحشرون " أي تجمعون في الآخرة¹.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (المجادلة 22) جاء في الجامع لأحكام القرآن : " قوله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون » أي ويوالون و من حاد الله ورسوله « تقدم ، ولو كانوا آباءهم » قال السدي : نزلت في عبد الله ماء ، فقال له : بالله يارسول الله و صل الله عبد الله بن أبي ، جلس إلى النبي ﷺ فشرب النبي ما أبقيت من شرابك فضلة أسقيها أبي ، لعل الله يطهر بها قلبه ؟ فأفضل له فأتاه بها ، فقال له عبد الله : ما هذا ؟ فقال : هي فضلة من شراب النبي ﷺ جننتك بها تشربها لعل الله يطه قلبك بها ، فقال له أبوه : فهلا جننتي ببول أمك ، فإنه أطهر منها ، فغضب وجاء إلى النبي م ، وقال : يا رسول الله ، أما أذنت لي في قتل أبي ؟ فقال النبي ﷺ : « بل ترفق به . وتحسن إليه » وقال ابن جريج حدثت أن أبا قحافة سب النبي فصكه أبو بكر ابنه صكة فسقط منها على وجهه ، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : « أوفعلته ، لا تعد إليه » فقال : والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته وقال ابن مسعود : نزلت في أبي عبيدة بن الجراح ، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وقيل : يوم بدر ، وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة وأبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله ؛ فأنزل الله حين قتل أباه : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر » الآية ، قال الواقدي : كذلك يقول أهل الشام ، ولقد سألت رجالا من بني الحارث بن فهر فقالوا : توفى أبوه من قبل الإسلام هـ أو أبناءهم * يعني

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 242

أبا بكر دعى ابنه عبد الله إلى البراز يوم بدر ، فقال النبي ﷺ : بنفسك يا أبا بكر ، أما تعلم أنك عندى بمنزلة السمع والبصر « أو إخوانهم » يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم بدر « أو عشيرتهم » يعنى عمر بن يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر ، وعليها وحمزة قتلا عتبة وشيبة والوليد يوم بدر ، وقيل : إن الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ، لما كتب إلى أهل مكة بمسير النبي من عام الفتح ، على ما يأتي بيانه أول سورة « الممتحنة » إن شاء الله تعالى ، بين أن الإيمان يفسد بموالاتة الكفار وإن كانوا أقارب¹

3 النفي بلن :

لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
(المجادلة 17) : يقول القرطبي : قوله تعالى : " لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً " أي من عذابه شيئاً ، وقال القيامة ، لقد شقينا إذا ! فوالله لنتصرن مقاتل : قال المنافقون : إن محمداً يزعم انه ينصر يوم القيامة ، لقد شقينا اذا فوالله لنتصرن يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا إن كانت قيامة ، فنزلت : " يوم يبعثهم الله جميعاً " أي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم " فيحلفون له كما يحلفون لكم " اليوم ، وهذا أمر عجيب وهو مغالطتهم باليمين غدا²

المرجع السابق ص 252¹

² المرجع نفسه ص 250

ثانيا : سورة الحشر :

بين يدي السورة :

هي سورة مدينة، قيل إنها نزلت في بني النضير، كما عنيت بجانب التشريع، والمحور الرئيسي فيها هو الحديث عن غزوة بني النضير وهم اليهود الذين نقضوا العهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فأجلاهم عن المدينة المنورة، وبإيجاز هي سورة الغزوات والجهاد والفيء والغنائم .

وفي سبب نزولها: عندما نقض اليهود " بنو النضير " العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصرهم الرسول وأمر بقطع نخيلهم وإحراقه اهانة لهم وإرعاباً لقلوبهم، فقالوا: يا محمد: ألسنت تزعم أنك نبي؟ وأنت تنهى عن الفساد؟ فما بالك تأمر بقطع الأشجار وتحريقها؟¹

فأنزل الله تعالى " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله " الآية:5 من سورة الحشر.

وقد ابتدأت السورة الكريمة بتمجيده سبحانه وتعالى، فكل الكون شاهد بوحدانيته وقدرته وجلاله ثم ذكرت بعض آثار ومظاهر عزته بإجلاء اليهود من ديارهم وأوطانهم، كما تناولت موضوع الغنائم فبينت شروطها وأحكامها، ومن جهة فقد أثنت على أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بالثناء العاطر، فنوهت بفضائل المهاجرين ومآثر الأنصار

¹ محمد علي الصابوني ، صفوة التفسير ص 381

وفي مقابل ذكر المهاجرين، ذكره السورة المنافقين الأشرار الذين تحالفوا مع اليهود ضد الإسلام كما وعظت المؤمنين بتذكر ذلك اليوم الرهيب، فبينت الفارق الهائل بين أهل الجنة وأهل النار ومصير السعداء ومصير الأشقياء في دار العدل والجزاء ، وقد ختمت السورة بذكر أسماء الله الحسنی وصفاته العلیا .

وفي فضل السورة فمن قال حين يصبح ثلاث مرات ،أعوذ بالله السميع العليم، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر السورة، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي له مثل ذلك .

أسلوب النفي في سورة الحشر:

1 النفي بما:

" وَالَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ " (الحشر 2) ، دخلت أداة النفي " ما " في هذه الآية على الفعل الماضي " ظننتم " فهي غير عاملة لدخولها

على جملة فعلية ، وقد ورد في صفوة التفاسير للصابوني في معناها أي: ما ظننتم أيها المؤمنون أن يخرجوا من أوطانهم وديارهم بهذا الذل والهوان ، لعزتهم ومنعتهم ، وشدة بأسهم، حيث جاء تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط كانوا أصحاب حصون وعقار ونخيل وثمار وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم

ولما كان ظن المؤمنين منفيًا هنا أجري مجرى نفي الرجاء والطمع فتسلط على أن الناصبة للفعل كما يتسلط الرجاء والطمع، ولما كان ظن اليهود قويا جدا، يكاد أن يلحق بالعلم تسلط على أن المشددة ، وهي التي يصحبها غالبا فعل التحقيق¹

"وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (الحشر 6) ، ورد النفي في هذه الآية في موضعين في قوله تعالى " وما أفاء الله على رسوله" و قوله " فما أوجفتم عليه" وهي غير عاملة في كلتا الحالتين لورود الفعل بعدها، وهي في معناها أي: لمتقطعوا إليها مشقة، ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة، وإنما كانت من المدينة على ميلين، فافتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلحا وأجلاهم عنها، وأخذ أموالهم فجعلها الله لرسوله الكريم خاصة، يضعها حيث يشاء²

2 النفي بلا :

- **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (الحشر 9) احتوت هذه الآية على نفي ، بالأداة "لا" دخلت على الفعل المضارع " يجدون " أفادت دوامه وفي تفسير ابن كثير ، هي في معناها: أنهم محبين الله ورسوله، ولا يحسدون المهاجرين على ما أتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، فقد أخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم مما أوتوا .فدل على أن الله تعالى أتاهم، ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصر والهجرة³

¹ المرجع السابق ، ص 350

² المرجع نفسه ، نفس الصفحة

³ بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، الجزء 3 ،دار التقوى، القاهرة، دط، 2006. ص 504

- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (الحشر 11) ،
أي لا نطيع فيكم من سألنا خذلانكم، فهذا معنى الجملة المنفية ، لقوله تعالى " ولا نطيع فيكم " فدخلت الأداة "لا " على فعل مضارع أفادت استمراريته، وفي هذا تعجيب من الله تعالى لرسوله من حال المنافقين الذين بعثوا إلى بني النضير وقالوا لهم: اثبتوا في حصونكم فإن معكم كيف ما تقلبت حالكم أي ولا نطيع أمر محمد في قتالكم، ولا نسمع من أحد إذا أمرنا بخذلانكم¹
- لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَّ الْأَدْبِرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (الحشر 12) قوله تعالى: لئن أخرجتم لا يخرجون معهم " ظاهر هذا أنه جواب الشرط، وفيه نفي في " لا يخرجون" وأيضا في قوله : لا ينصرونهم" وفي معنى الآية ككل أي : لئن أخرج اليهود لا يخرج المنافقون معهم، ولئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون "ولا يقاتلون معهم، ولئن جاؤوا لنصرتهم وقاتلوا معهم على سبيل الفرض والتقدير فسوف يهزمون²
- لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (الحشر 13) لا يفقهون:
جملة فعلية دخلت عليها الأداة النافية "لا" فاكسبتها معنى من معاني النفي، وورد في تفسير البحر المحيط دلالة ذلك في الآية بأنهم قد خافوا منكم أعظم مما يخافون الله، وقدموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا، على مخافة الخالق الذي بيده الضر والنفع والعطاء والمنع³

¹ محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 353

² -السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج2، مؤسسة الرسالة، د بلد النشر، دط، 2000. ص 851

³ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1993، ص 247

- لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مَّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (الحشر 14) دخلت الأداة "لا" على فعلين مضارعين "يقاتلونكم" و "يعقلون" وأفادت فيهما الدوام ، وجاء في تفسير الثعالبي لذلك : أنهم لا يبرزون لحربكم وإنما يقاتلون متحصنين بالقرى والجدران، للرعب والرهب الكائن في قلوبهم¹
- لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (الحشر 20) نفى الله تعالى في هذه الآية أن يكون تساوي بين المؤمنين وغير المؤمنين، فجاءت الأداة "لا" لتبين ذلك، وهذا ما أبرزه الصابوني في تفسيره : فلا يتساوى يوم القيامة الأشقياء والسعداء، أهل النار وأهل الجنة، أهل الجنة في الفضل والرتبة، أي أصحاب الجنة هم الفائزون بالسعادة الأبدية في دار النعيم وذلك هو الفوز العظيم²
- هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (الحشر 23) السعدي في دلالة ومعنى هذا: أن الله تعالى كرر اللفظ اعتناءً بأمر التوحيد أي لا معبود ولا دخلت الأداة النافية "لا" في هذه الآية على الاسم "إله" وتبعتها أداة الاستثناء "إلا" ويرى رب سواه، وأنه المالك لجميع الممالك ، فالعالم العلوي والسفلي وأهله الجميع ممالك الله فقراء مدبرون³

¹ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1997 ص 699

² محمد علي الصابوني ، صفوة التفسير ، 355

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج2، ص699

ثالثا : سورة الممتحنة :

بين يدي السورة :

عرفت هذه السورة في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف بـ « سورة الممتحنة » . قال القرطبي : والمشهور على الألسنة النطق في كلمة « الممتحنة » بكسر الحاء وهو الذي جزم به السهيلي

ووجه التسمية أنها جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء اللاتي يأتين مهاجرات إلى المدينة آية « يأيتها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن » إلى قوله « بعصم الكوافر » . فوصف الناس تلك الآية بالممتحنة لأنها شرعت الامتحان . وأضيفت السورة إلى تلك الآية وقال السهيلي : أسند الامتحان إلى السورة مجازا كما قيل لسورة براءة الفاضحة . يعني أن ذلك الوصف مجاز عقلي .

وروي بفتح الحاء على اسم المفعول قال ابن حجر : وهو المشهور أي المرأة

الممتحنة على أن التعريف تعريف العهد والمعهود أول امرأة امتحنت في إيمانها . وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط امرأة عبد الرحمان بن عوف . (كما سميت « سورة المجادلة » بكسر الدال)

ولك أن تجعل التعريف تعريف الجنس ، أي النساء الممتحنة

قال في الإتيان : وتسمى « سورة الامتحان » ، « سورة المودة » ، وعزا ذلك إلى كتاب جمال القراء لعلي السخاوي ولم يذكر سنده

وهذه السورة مدنية بالاتفاق

واتفق أهل العدد على عد أيها ثلاث عشرة آية . وآياتها طوال . واتفقوا على أن الآية الأولى نزلت في شأن كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة

روى البخاري من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار يبلغ به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قصة كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة ثم قال : قال عمرو بن دينار : نزلت فيه « يأيتها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء » قال سفيان : هذا في حديث الناس لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو . حفظه عمرو وما تركت منه حرفا اه

وفي صحيح مسلم وليس في حديث أبي بكر وزهير (من الخمسة الذين روى

عنهم مسلم يروون عن سفيان بن عيينة) ذكر الآية . وجعلها إسحاق (أي بن

إبراهيم أحد من روى عنهم مسلم هذا الحديث) في روايته من تلاوة سفيان اه

ولم يتعرض مسلم لرواية عمرو الناقد وابن أبي عمر عن سفيان فلعلهما لم يذكر

شيئا في ذلك

أغراض هذه السورة :

اشتملت من الأغراض على تحذير المؤمنين من اتخاذ المشركين أولياء مع أنهم كفروا بالدين الحق وأخرجوهم من بلادهم

وإعلامهم بأن اتخاذهم أولياء ضلال وأنهم لو تمكنوا من المؤمنين لأسأؤوا إليهم بالفعل والقول ، وأن ما بينهم وبين المشركين من أواصر القرابة لا يعتد به تجاه العداوة في الدين ، وضرب لهم مثلا في ذلك قطيعة إبراهيم لأبيه وقومه

وأردف ذلك باستئناس المؤمنين برجاء أن تحصل مودة بينهم وبين الذين أمرهم الله بمعاداتهم أي هذه معاداة غير دائمة

وأردف بالرخصة في حسن معاملة الكفرة الذين لم يقاتلوا المسلمين قتال عداوة في دين ولا أخرجوهم من ديارهم . وهذه الأحكام إلى نهاية الآية التاسعة

وحكم المؤمنات اللاء يأتين مهاجرات واختبار صدق إيمانهن وأن يحفظن من الرجوع إلى دار الشرك ويعوض أزواجهن المشركون ما أعطوهن من المهور ويقع التراد كذلك مع المشركين ومبايعة المؤمنات المهاجرات ليعرف التزامهن لأحكام الشريعة الإسلامية . وهي الآية الثانية عشرة

وتحريم تزوج المسلمين المشركات وهذا في الآيتين العاشرة والحادية عشرة

والنهي عن موالاة اليهود وأنهم أشبهوا المشركين وهي الآية الثالثة عشرة ¹.

النفي في سورة الممتحنة :

النفي بلم :

ورد النفي بلم في سورة الممتحنة في الآية 8 من السورة : " لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُواكُمْ

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "

(الممتحنة 8) ، ويقول بن عاشور : " استئناف هو منطوق لمفهوم الأوصاف التي وصف بها

العدو في قوله تعالى « وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم » وقوله « إن

يتفقوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء » ، المسوقة مساق التعليل

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، 28 ص 129 الى 132

اتخاذ عدو الله أولياء ، استثنى الله أقواما من المشركين غير مضميرين للنهي عن العداوة للمسلمين وكان دينهم شديد المنافرة مع دين الإسلام

فإن نظرنا إلى وصف العدو من قوله « لا تتخذوا عدوي وعدوكم » وحملناه على حالة معاداة من خالفهم في الدين ونظرنا مع ذلك إلى وصف « يخرجون الرسول وإياكم » ، كان مضمون قوله « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين » إلى آخره ، بيانا لمعنى العداوة المجعولة علة للنهي عن الموالاة وكان المعنى أن مناط النهي هو مجموع الصفات المذكورة لا كل صفة على حياها

وإن نظرنا إلى أن وصف العدو هو عدو الدين ، أي مخالفة في نفسه ضميمة وصف « وقد كفروا بما جاءكم الحق » ، كان مضمون « لا ينهاكم الله » إلى آخره تخصيصا للنهي بخصوص أعداء الدين الذين لم يقاتلوا المسلمين لأجل الدين ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم وأياما كان فهذه الجملة قد أخرجت من حكم النهي القوم الذين لم يقاتلوا في الدين ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم . واتصال هذه الآية بالآيات التي قبلها يجعل الاعتبارين سواء فدخل في حكم هذه الآية أصناف حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم مثل خزاعة ، وبني الحارث بن ومزينة كان هؤلاء كلهم مظاهرين للنبي ﷺ ويحبون ظهوره على قريش ، ومثل النساء والصبيان من المشركين ، وقد جاءت فتيلة (بالتصغير ويقال لها : قتلة ، مكبرا) بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي من قريش وهي أم أسماء بنت أبي بكر الصديق إلى المدينة زائرة ابنتها وقتيلة يومئذ مشركة في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش بعد صلح الحديبية (وهي المدة التي نزلت فيها هذه السورة) فسألت أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتصل أمها ؟ قال : نعم صيلي أمك ، وقد قيل : إن هذه الآية نزلت في شأنها

وقوله « أن تبروهم » بدل اشتمال من « الذين لم يقاتلكم في الدين » الخ وجود ضمير الموصول في المبدل وهو الضمير المنصوب في « أن تبروهم » يجعل بر المسلمين مما تشتمل عليه أحوالهم . فدخل في الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين نفر من بني هاشم منهم العباس بن عبد المطلب ، والذين أحكام هذه الآية كلهم قد قيل إنهم سبب نزولها وإنما هو شمول وما هو شملتهم بسبب نزول

والبر : حسن المعاملة والإكرام . وهو يتعدى بحرف الجر ، يقال : بر به ، فتعديته هنا بنفسه على نزع الخافض

والقسط : العدل . وضمن تقسطوا معنى تقضوا فعدي بـ (إلى) وكان حقه أن يعدى باللام . على أن اللام و (إلى) يتعاقبان كثيرا في الكلام ، أي أن تعاملوهم بمثل ما يعاملونكم به من التقرب ، فإن معاملة أحد بمثل ما عامل به من العدل

وجملة و « إن الله يحب المقسطين » تذييل ، أي يجب كل مقسط فيدخل الذين يقسطون للذين حالفوهم في الدين إذا كانوا مع المخالفة محسنين معاملتهم

وعن ابن وهب قال سألت ابن زيد عن قوله تعالى « لا ينهاكم الله » الآية قال : نسخها القتال ، قال الطبري لا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ ، لأن بر المؤمن بمن بينه وبينه قرابة من أهل الحرب أو بمن لا قرابة بينه وبينه غير محرم إذا لم يكن في ذلك دلالة على عورة لأهل الإسلام . اهـ

من هذه الآية جواز معاملة أهل الذمة بالإحسان وجواز الاحتفاء ويؤخذ بأعيانهم¹

النفي بـ "لا" :

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، 28 ص 151 الى 153

ورد النفي بلا في سورة الممتحنة في عدة آيات ومنها :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ " (الممتحنة 1) ، أنت أداة النفي لا بعد الفعل المضارع " تتخذوا" لتؤدي غرض الأمر في عدم اتخاذ الأعداء و معاملة الآخرين بالرحمة و المودة¹

"رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (الممتحنة 5) جاءت لا النافية بعد فعل المضارع " تجعلنا" والغرض منها حسب محمد الطاهر بن عاشور : " الفتنة : اضطراب الحال وفساده ، وهي اسم مصدر فتجيء بمعنى المصدر كقوله تعالى « والفتنة أشد من القتل » ، وتجيء وصفا للمفتون والقاتن .

ومعنى جعلهم فتنة للذين كفروا : جعلهم مفتونين يفتنهم الذين كفروا فيصدق ذلك بأن يتسلط عليهم الذين كفروا فيفتنون كما قال تعالى « إن الذين فتنوا المؤمنين « الخ . ويصدق أيضا بأن تختل أمور دينهم بسبب الذين كفروا ، أي بمحبتهم والتقرب منهم كقوله تعالى حكاية عن دعاء موسى « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء »

وعلى الوجهين فالفتنة من إطلاق المصدر على اسم المفعول . وتقدم في قوله تعالى « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » في سورة يونس .

واللام في « للذين كفروا » على الوجهين للملك ، أي مفتونين مسخرين لهم

¹ المرجع نفسه ص 132

ويجوز عندي أن تكون « فتنة » مصدرا بمعنى اسم الفاعل ، أي لا تجعلنا فاتنين ، أي فتنة للذين كفروا ، فيكون كناية عن معنى لا تغلب الذين كفروا علينا واصرف عنا ما يكون به اختلال أمرنا وسوء الأحوال كيلا يكون شيء ذلك فاتنا الذين كفروا ، أي مقويا فتنتهم فيفتنوا في دينهم ، أي يزدادوا كفرا وهو فتنة في الدين ، أي فيظنوا أنا على الباطل وأنهم على الحق ، وقد تطلق الفتنة على ما يفضى إلى غرور في الدين كما في قوله تعالى « بل فتنة » في سورة الزمر وقوله « وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » في سورة الأنبياء

واللام على هذا الوجه لام التبليغ وهذه معان جمة أفادتها الآية ¹

"يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجَّرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُّوا مَّا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (الممتحنة 10) ، وردت أداة النفي "لا" في الآية العاشرة في عدة مواطن للتفصيل في ما نهى الله عنه في زواج المسلم بغير المسلمة وفي ذلك يقول بن عاشور : "لا خلاف في أن هذه الآيات إلى آخر السورة نزلت عقب صلح الحديبية وقد علمت أنا رجحنا أن أول السورة نزلت قبل هذه وأن كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين كان عند تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للحديبية ومناسبة ورود هذه الآية بعد ما قبلها ، أي النهي عن موالاته المشركين يتطرق إلى ما بين المسلمين والمشركين من عقود النكاح والمصاهرة فقد يكون المسلم زوجا لمشركة وتكون

¹ المرجع السابق ص 148

المسلمة زوجا لمشرك فتحدث في ذلك حوادث لا يستغنى المسلمون عن معرفة حكم الشريعة في مثلها ¹

"يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُتُ يُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (المتحنة 12) ، أتت أداة النفي لا في هذه الآية في مواطن عدة متبوعة بأفعال مضارعة وُظفت لبيان ما تمتحن به المؤمنات المهاجرات من مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمبايعته ²

النفي ب"لن" :

استعمل النفي ب"لن" في سورة المتحنة مرة واحدة وكان ورودها في الآية الثالثة في قوله عز وجل : " لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (المتحنة 3) ، وتبعت بفعل المضارع "تنفَعكم" لنفي نفع الأرحام والأولاد يوم القيامة عند معصية الله عز وجل على حد تعبير القرطبي " قوله تعالى : «و لن تنفَعكم أرحامكم» لما اعتذر حاطب بأن له أولادا وأرحاما فيما بينهم ، بين الرب عز وجل أن الأهل والأولاد لا ينفعون شيئا يوم القيامة إن عصى من أجل ذلك ، يفصل بينكم ، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكافرين النار ، وفي « يفصل » قراءات قرأ عاصم « يفصل » بفتح الياء وكسر الصاد مخففا ، وقرأ حمزة والكسائي مشددا إلا أنه على ما لم يسم فاعله ، وقرأ طلحة والنخعي بالنون وكسر الصاد مشددة ، وروى عن كذلك بالنون مخففة ، وقرأ قتادة وأبو حيوة « يفصل » بضم الياء وكسر الصاد مخففة من أفصل ، وقرأ الباقون « يفصل » بياء مضمومة وتخفيف

¹ المرجع السابق ص 154

² أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 320.

الفاء وفتح الصاد على الفعل المجهول ، واختره أبو عبيد ، فمن خفف فلقوله : ﴿ وهو خير
 الفاصلين ﴾ (الأنعام 57) وقوله : « و إن يوم الفصل (الدخان 4) ، ومن صلى الله عليه
 وسلم شدد فلأن ذلك أبين في الفعل الكثير المكرر المتردد ، ومن أتى به على ما لم يسم فاعله
 فلأن الفاعل معروف ، ومن أتى به مسمى الفاعل رد الضمير إلى الله تعالى ، ومن قرأ بالنون
 فعلى التعظيم ، " والله بما تعملون بصير"¹

¹ المرجع السابق ص 308 ، 309

رابعاً : سورة الصف :

بين يدي السورة :

اشتهرت هذه السورة باسم « سورة الصف » وكذلك سميت في الصحابة

روى ابن أبي حاتم سنده إلى عبد الله بن سلام أن ناساً قالوا : « لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال » إلى أن قال « فدعا رسول الله ﷺ أولئك النفر حتى جمعهم ونزلت فيهم « سورة سبح الله الصف » الحديث ، رواه ابن كثير ، وبذلك عنونت في صحيح البخاري وفي جامع الترمذي ، وكذلك كتب اسمها في المصاحف وفي كتب التفسير

ووجه التسمية وقوع لفظ « صفا » فيها وهو صف القتال ، فالتعريف باللام تعريف العهد

وذكر السيوطي في الإتقان : أنها تسمى « سورة الحواريين » ولم يسنده . وقال الألويسي تسمى « سورة عيسى » ولم أقف على نسبه لقائل . وأصله للطبرسي حديث رواه في فضلها عن أبي بن كعب بلفظ « سورة عيسى » وهو حديث موسوم بأنه موضوع . والطبرسي يكثر من تخريج الأحاديث الموضوعية . فتسميتها « سورة الحواريين » لذكر الحواريين فيها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين

وإذا ثبت تسميتها « سورة عيسى » فلما فيها من ذكر « عيسى » مرتين .

وهي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد الله بن سلام . وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء أنها مكية ودرج عليه في الكشف والفخر . وقال ابن عطية الأصح أنها مدنية ويشبه أن يكون فيها المكى .

واختلف في سبب نزولها وهل نزلت متتابعة أو متفرقة متلاحقة

وفي جامع الترمذي « عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه » فأنزل الله تعالى « سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يأبها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون » قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله . وأخرجه الحاكم وأحمد في مسنده وابن أبي حاتم والدارمي بزيادة فقرأها علينا ختمها أو فقرأها كلها .

فهذا يقتضي أنهم قيل لهم : لم تقولون ما لا تفعلون قبل أن يخلفوا ما وعدوا به فيكون الاستهزام مستعملا مجازا في التحذير من عدم الوفاء بما نذروه ووعدوا به

وعن علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى « يأبها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون » قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لو ددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله أن أحب الأعمال : إيمان به وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به . فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم . فأنزل الله سبحانه وتعالى « يأبها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون »

ومثله عن أبي صالح يقتضي أن السورة نزلت بعد أن أمروا بالجهاد بآيات غير هذه السورة . وبعد أن وعدوا بالانتداب للجهاد ثم تقاعدوا عنه وكرهوه . وهذا المروي عن ابن عباس وهو أوضح وأوفق بنظم الآية ، والاستهزام فيه للتوبيخ واللوم وهو المناسب لقوله بعده « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »

وعن مقاتل بن حيان : قال المؤمنون : لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله فقال : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا » ، ، فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا مدبرين فأنزل

الله « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون » . ونسب الواحدي مثل هذا للمفسرين وهو يقتضي أن صدر الآية نزل بعد آخرها

وعن الكلبي : أنهم قالوا : لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليها فنزلت « هل أدلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم » الآية . فابتلوا يوم أحد فنزلت يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون « تُعيرهم بترك الوفاء . وهو يقتضي أن معظم السورة قبل نزول الآية التي في أولها وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد . نزلت بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح . وكان نزولها بعد وقعة أحد وعدد أيها أربع عشرة آية باتفاق أهل العدد .

أغراضها

- أول أغراضها التحذير من إخلاف الوعد والالتزام بواجبات الدين والتعريض على الجهاد في سبيل الله والثبات فيه ، وصدق الإيمان
- والثبات في نصره الدين
- والائتساء بالصادقين مثل الحواريين
- والتحذير من أذى الرسول صلى الله عليه وسلم تعريضا باليهود مثل كعب بن وضرب المثل لذلك بفعل اليهود مع موسى وعيسى عليهما السلام . والتعريض بالمنافقين .
- والوعد على إخلاص الإيمان والجهاد بحسن مثوبة الآخرة والنصر والفتح .¹

النفي في سورة الصف :

النفي ب"لا" :

ورد النفي في سورة الصف بأداة "لا" فقط ، وذلك في الآية الثانية و الثالثة ، الخامسة و السابعة على النحو التالي :

- " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) " (الصف 2/3) ، جاءت لا النافية قبل فعل المضارع تفعلون وجاء النفي هنا للدلالة على كبر فعلٍ ماضيه يسمى كذباً ومستقبله خُلفاً وكلاهما مذموم¹
- " وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ " (الصف 5) ، جاء النفي تذييلاً لبيان ما يتبع من آذى - من قوم موسى عليه السلام - بعد أن يزيغ الله قلوبهم وأن عدم هداية الله لهم من سننه في عباده أن لن يهديهم²
- " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (الصف 7) ، نفى الله تبارك وتعالى هدايته للقوم الظالمين تأييساً لهم من الإقلاع عن ظلمهم أي أن من بلغوا هذا المستوى من الظلم لا طمع في صلاحهم لتمكن الكفر منهم ومخالطته لسجاياهم و تقومه في قوميتهم³

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 328.

² محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، 28 ص 179

³ المرجع السابق ، ص 189

سورة الجمعة :

بين يدي السورة :

سميت هذه السورة عند الصحابة ، وفي كتب السنة والتفاسير « سورة الجمعة » ولا يعرف لها اسم غير ذلك . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : « كنا جلوسا عند النبي فأنزلت عليه سورة الجمعة » الحديث . وسيأتي عند تفسير قوله تعالى « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم » .

ووجه تسميتها وقوع لفظ "الجمعة" فيها وهو اسم لليوم السابع من أيام الأسبوع في الإسلام وقال ثعلب : إن قریشا كانت تجتمع فيه عند قصي بدار الندوة . ولا يقتضي في ذلك أنهم سمو ذلك اليوم الجمعة

ولم أر في كلام العرب قبل الإسلام ما يثبت أن اسم الجمعة أطلقوه على هذا اليوم وقد أطلق اسم « الجمعة » على الصلاة المشروعة فيه على حذف المضاف لكثرة الاستعمال . وفي حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ، ووقع في كلام عائشة « كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم والعوالي » الخ

وفي كلام أنس « كنا نقيل بعد الجمعة » ، ومن كلام ابن عمر « كان رسول الله لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف » ، (أي من المسجد) . ومن كلام سهل بن سعد « ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة » . فيحتمل أن يكون لفظ « الجمعة » الذي في اسم هذه السورة

معنيا به صلاة الجمعة لأن في السورة أحكاما لصلاة الجمعة . ويحتمل أن يراد به يوم الجمعة لوقوع الجمعة في السورة في آية صلاة الجمعة

وهي مدنية بالاتفاق

ويظهر أنها نزلت سنة ست وهي سنة خيبر ، فظاهر حديث أبي هريرة الذي أشرنا إليه آنفا « أن هذه السورة نزلت بعد فتح خيبر لأن أبا هريرة أسلم يوم خيبر

وظاهره أنها نزلت دفعة واحدة فتكون قضية ورود العير من الشام هي نزول السورة وسيأتي ذكر ذلك

وكان فرض صلاة الجمعة متقدما على وقت نزول هذه السورة فإن النبي ﷺ فرضها في خطبة خطب بها للناس وصلاتها في أول يوم جمعة بعد يوم الهجرة في دار لبني سالم بن عوف . وثبت أن أهل المدينة صلوها قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة كما سيأتي . فكان فرضها ثابتا بالسنة قولاً وفعلاً . وما ذكر في هذه السورة من قوله « إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله » ورد مورد التأكيد لحضور صلاة الجمعة وترك البيع ، والتحذير من الانصراف عند الصلاة قبل تمامها كما سيأتي

وقد عدت هذه السورة السادسة بعد المائة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد ، نزلت بعد سورة التحريم وقبل سورة التغابن

وظاهر حديث أبي هريرة يقتضي أن هذه السورة أنزلت دفعة واحدة غير منجمة . وعدت أيها إحدى عشرة آية باتفاق العادين من قراء الأمصار عن صلاة الجمعة

أغراضها :

أول أغراضها ما نزلت لأجله وهو التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة والأمر بترك ما يشغل عنها في وقت أدائها . وقدم لذلك : التنويه بجلال الله تعالى والتنويه بالرسول ﷺ . وأنه رسول إلى العرب ومن سيلحق بهم

وأن رسالته لهم فضل من الله

وفي هذا توطئة لزم اليهود لأنهم حسدوا المسلمين على تشريفهم بهذا الدين ومن جملة ما حسدوهم عليه ونقموه أن جعل يوم الجمعة اليوم الفاضل في بعد أن كان يوم السبت وهو المعروف في تلك البلاد الأسبوع وإبطال زعمهم أنهم أولياء الله

وتوبيخ قوم انصرفوا عنها لمجيء غير تجارة من الشام¹

النفي في سورة الجمعة :

ورد النفي في سورة الجمعة في موضعين أولهم بالأداة "لم" متبوعة بأداة النفي "لا" في تذييل الآية وذلك في الآية الخامسة ، وورد النفي ب"لا" في بداية الآية السابعة وهي كما يلي :

النفي بلم :

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (الجمعة 5) ، تُبعت أداة النفي لم بفعل مضارع للدلالة على فعل نفيه في الماضي ، وفُسر ذلك في تفسير التحرير و التنوير في قول صاحبه :

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، 28 ص 204 الى 206

بعد أن تبين أنه تعالى أتى فضله قوماً أميين أعقبه بأنه قد أتى فضله أهل الكتاب فلم ينتفع به هؤلاء الذين قد اقتنعوا من العلم بأن يحملوا التوراة دون فهم وهم يحسبون أن ادخار أسفار التوراة وانتقالها من بيت إلى بيت كاف في التبجح بها وتحقير من لم تكن التوراة بأيديهم ، فالمراد اليهود الذين قاوموا دعوة محمد وظاهروا المشركين

وقد ضرب الله لهؤلاء مثلاً بحال حمار يحمل أسفارا لا حظ له منها إلا الحمل دون علم ولا فهم ذلك أن علم اليهود بما في التوراة أدخلوا فيه ما صيره مخلوطاً بأخطاء وضلالات ومنتبعا فيه هوى نفوسهم وما لا يعدو نفعهم الدنيوي ولم يتخلقوا بما تحتوي عليه من الهدى والدعاء إلى تزكية النفس وقد كتموا ما في كتبهم من العهد باتباع النبيء الذي يأتي لتخليصهم من ربقة الضلال فهذا وجه ارتباط هذه الآية بالآيات التي قبلها ، وبذلك كانت هي كاللتمة لما قبلها . وقال في الكشف عن بعضهم : افتخر اليهود بأنهم أهل كتاب . والعرب لا كتاب لهم . فأبطل الله ذلك بشبههم بالحمار يحمل أسفارا

ومعنى « حُمِّلُوا » : عهد بها إليهم وكلفوا بما فيها فلم يفوا بما كلفوا ، يقال : حملت فلانا أمر كذا فاحتمله ، قال تعالى « إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » سورة الأحزاب

وإطلاق الحمل وما تصرف منه على هذا المعنى استعارة ، بتشبيهه إيكال ، الأمر بحمل الحمل على ظهر الدابة ، وبذلك كان تمثيل حالهم بحال الحمار يحمل أسفارا تمثيلاً للمعنى المجازي بالمعنى الحقيقي . وهو من لطائف القرآن و (ثم) للتراخي الرتبي فإن عدم وفائهم بما عهد إليهم أعجب من تحملهم إياه وجملة « يحمل أسفارا » في موضع الحال من الحمار أو في

موضع الصفة لأن تعريف الحمار هنا تعريف جنس فهو معرفة لفظا نكرة معنى ، فصح في الجملة اعتبار الحالية والوصف

وهذا التمثيل مقصود منه تشنيع حالهم وهو من تشبيهه المعقول بالمحسوس المتعارف ، ولذلك ذيل بزم حالهم « بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله »

و « بئس » فعل زم ، أي ساء حال الذين كذبوا بكتاب الله فهم قد ضموا إلى جهلهم بمعاني التوراة تكذيبا بآيات الله وهي القرآن

و « مثل القوم » ، فاعل « بئس » . وأفنى هذا الفاعل عن ذكر المخصوص بالذم لحصول العلم بأن المذموم حال القوم المكذبين فلم يسلك في هذا التركيب طريق الإبهام على شرط التفسير لأنه قد سبقه ما بينه بالمثل المذكور قبله في قوله « كمثل الحمار يحمل أسفارا » . فصار إعادة لفظ المثل ثقيلًا في الكلام من ثلاث مرات . وهذا من تقننات القرآن . و « الذين كذبوا » صفة « القوم »¹

ثانيا : النفي ب"لا" :

- أتى النفي بأداة النفي "لا" في نهاية الآية السالفة الذكر في قوله تعالى : « والله لا يهدي القوم الظالمين » وفي ذلك يقول بن عاشور : وجملة « والله لا يهدي القوم الظالمين » تذييل إخبارا عنهم بأن سوء حالهم لا يرجى لهم منه انفكاك لأن الله حرمهم اللطف والعناية بإنقاذهم لظلمهم بالاعتداء على الرسول ﷺ بالتكذيب دون نظر ، وعلى آيات الله بالجحد دون تدبر

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، 28 ص 213 و 214

قال في الكشاف : « وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث » ، أي هذه السورة : افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » . وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم ، فشبههم بالحمار يحمل أسفارا ، وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة ¹

("وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" (الجمعة 7) ، أتت أداة النفي "لا" في هذا الموضع لدلالة تأكده عز وجل من امتناع اليهود عن تمني الموت اذ قال في الآية التي سبقتها : " قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " وفي هذا المقام يقول القرطبي : " لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه " قال الله تعالى : " إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس " فلأولياء عند الله الكرامة و فتمنوا الموت إن كنتم صادقين - لتصيروا إلى ما يصير إليه أولياء الله " ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم " أي أسلفوه من تكذيب محمد ﷺ ، فلو تمنوه لماتوا ، فكان في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية ، وفي حديث أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية : " والذي نفس محمد بيده لو تمنوا علي الموت ما بقى على ظهرها يهودي إلا مات " ، وفي هذا إخبار عن الغيب ، ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مضى معنى هذه الآية في « البقرة » في قوله تعالى : " قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين " البقرة 94 ²

¹ المرجع نفسه ، ص 215

² أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 341.

سورة المنافقين :

بين يدي السورة :

سميت هذه السورة في كتب السنة وكتب التفسير « سورة المنافقين » اعتبارا بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها

ووقع هذا الاسم في حديث زيد بن أرقم عند الترمذي قوله « فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين » . وسيأتي قريبا ، وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة فيحرض بها المؤمنين ، وفي الثانية بسورة المنافقين فيقرع بها المنافقين » ووقع في صحيح البخاري وبعض كتب التفسير تسميتها « سورة المنافقون » على حكاية اللفظ الواقع في أولها وكذلك ثبت في كثير من المصاحف المغربية والمشرقية .

وهي مدنية بالإتفاق

واتفق العادون على عد أيها إحدى عشرة آية

وقد عدت الثانية بعد المائة في عداد نزول السور عند جابر بن زيد . نزلت بعد سورة الحج وقبل سورة المجادلة

والصحيح أنها نزلت في غزوة بني المصطلق ووقع في جامع الترمذي عن محمد بن كعب القرظي « أنها نزلت في غزوة تبوك » . ووقع فيه أيضا سفيان : أن ذلك في غزوة بني المصطلق « (وغزوة بني المصطلق سنة خمس ، وغزوة تبوك سنة تسع) .

ورجح أهل المغازي وابن العربي في العارضة وابن كثير : أنها نزلت في غزوة بني الأظهر .
لأن قول عبد الله بن أبي بن سلول : « ليخرجن الأعز منها الأذل » ، يناسب الوقت الذي لم
يضعف فيه شأن المنافقين وكان أمرهم كل يوم في ضعف وكانت غزوة تبوك في آخر سني
النبوة وقد ضعف أمر المنافقين

وسبب نزولها « ما روي عن زيد بن أرقم أنه قال : كنا في غزاة فكسع (كسع ضربه على دبره
، وكان ذلك لخصومة في حوض ماء شربت منه ناقة الأنصاري) رجل من المهاجرين رجلا
جهنيا خليفا للأنصار فقال الجهني : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين : فسمع
ذلك رسول الله ﷺ فقال : ما بال دعوى الجاهلية ، قالوا : كسع رجل من المهاجرين رجلا من
الأنصار فقال « دعوها فإنها منتنة » (أي اتركوا دعوة الجاهلية : يآل كذا) فسمع هذا الخبر
عبد الله بن أبي فقال : أقد فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل «
وقال : تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، قال زيد بن أرقم : فسمعت
ذلك فأخبرت به غمي فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله إلى عبد الله بن أبي
وأصحابه فحلفوا ما قالوا ، فكذبني رسول الله وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله فقال عمي
ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ، وفي رواية : إلى أن كذبك ، فلما أصبحنا قرأ رسول الله
سورة المنافقين وقال لي : « إن الله قد صدقك » .

وفي رواية للترمذي في هذا الحديث : « أن المهاجري أعرابي وأن الأنصاري من أصحاب عبد
الله بن أبي ، وأن المهاجري ضرب الأنصاري على رأسه بخشبة فشجه ، وأن عبد الله بن أبي
قال : لا تتفقوا على من عند رسول الله ينفضوا من حوله « يعني الأعراب ، وذكر أهل السير
أن المهاجري من غفار اسمه جهجاه أجير لعمر بن الخطاب . وأن الأنصاري جهني اسمه

سنان حليف لابن أبي ، ثم يحتمل أن تكون الحادثة واحدة. واضطرب الراوي عن زيد بن أرقم في صفتها ؛ ويجوز أن يكون قد حصل حادثان في غزاة واحدة .

ونكر الواحدي في أسباب النزول : أن رسول الله ه أرسل إل عبد الله بن

أين وقال له : أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني ، فقال عبد الله بن أبي :

والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من هذا وإن زيدا لكاذب .

والظاهر أن المقالة الأوى قالها ابن أبي في سورة غضب مهيبجا لقومه مم خشي

انكشاف نفاقه فأنكرها .

وأما المقالة الثانية فإما أدرجها زيد بن أرقم في حديثه وإنما قالها ابن أبي في

سورة الناصح ك سيأي في تمسير حكايتها .

وعلى الأصح وهي قد نزلت قبل سورة الأحزاب ، وعمل القول بأنها نزلت في

عزوة تبوك تكون نزلت مع سورة براءة أو قبلها بقليل وهو بعيد .

أغراضها

فضح أحوال المنافقين بعد كثير من دخائلهم وتولد بعضها عن بعض من كذب ، وخيس بعهد

الله ، واضطراب في العقيدة ، ومن سفالة نفوس في أجسام تعر وتعجب ، ومن تصمي عل

الإعراض عن ظل الحق والهدى ، وعمل صد الناس عنه ، وكان كل قسم من آيات السورة

المفتتح ب(إذا) خص بغرض من هذه الأغراض . وقد علمت أن ذلك جرت إليه الإشارة إلى

تكذب عد اله بن ابى بن سلول فيما حلف عليه من التتصل مما قاله .

وختمت بموعظة المؤمنين وحثهم على الإنفاق والادخار للأخرة قبل حلول الأجل .¹

النفي في سورة المنافقين :

أولاً : النفي بأداة النفي "لم" :

ورد النفي في سورة المنافقين ب"لم" في موضع واحد معطوفة بأداة "لن" وذلك في قوله تعالى :

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ" ويقول القرطبي في تفسير الآية : " ... يعني كل ذلك سواء لا ينفع إستغفارك شيئاً ،

لأن الله لا يغفر لهم ، نظيره : « سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا ومنون (البقرة 6) ، »

سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين « (الشعراء 136) ، وقد تقدم (إن الله لا

يهدى لقوم الفاسقين « أي من سبق في علم الله أنه يموت فاسقاً².

ثانياً : النفي ب"لا" :

ورد النفي بأداة النفي "لا" في أكثر من موضع في السورة وذلك على النحو الآتي :

"ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" المنافقون 3 وفي ذلك يقول

القرطبي : " هذا إعلام من الله تعالى بأن المنافق كافر ، أي أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب ،

وقيل : نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدوا « فطبع على قلوبهم » أي ختم عليها بالكفر و فهم

لا يفقهون - الإيمان ولا الخير ، وقرأ زيد بن علي « فطبع الله على قلوبهم »³.

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، 28 ص 232 و 233

² أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 367

³ المرجع نفسه ص 364

"يَقُولُونَ لَنْ نَرَجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ نُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ

الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " المنافقون 8 ، في الجملة الاستدراكية "ولكن المنافقين لا يعلمون "

وردت أداة النفي لا ويقول بن عاشور في هذا المقام : "والقول في الاستدراك بقوله « ولكن

المنافقين لا يعلمون » نظير القول أنفا في قوله « ولكن المنافقين لا يفقهون » .

وعدل عن الإضمار في قوله « ولكن المنافقين لا يعلمون » . وقد سبق اسمهم في نظيرها

قبلها لتكون الجملة مستقلة الدلالة بذاتها فتسير سير المثل وإنما نفي عنهم هنا العلم تجهيلا

بسوء التأمل في أمارات الظهور والانحطاط فلم يفتنوا للإقبال الذي في أحوال المسلمين وازدياد

سلطانهم يوما فيوما وتناقص من أعدائهم فإن ذلك أمر مشاهد فكيف يظن المنافقون أن عزتهم

أقوى من عزة قبائل العرب الذين يسقطون بأيدي المسلمين كلما غزوه من يوم بدر فما بعده ¹

"يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْخٰسِرُونَ " المنافقون 9 جاء في تفسير التحرير و التنوير : انتقال من كشف أحوال المنافقين

المسوق للحدز منهم والتحذير من صفاتهم ، إلى الإقبال على خطاب المؤمنين بنهيهم عما

شأنه أن يشغل عن التذكر لما أمر الله ونهى ، ثم الأمر بالإنفاق في سبل الخير في سبيل الله

ومصالح المسلمين وجماعتهم وإسعاف أحادهم ، لئلا يستهويهم قول المنافقين « لا تنفقوا على

من عند رسول الله » والمبادرة إلى ذلك قبل إتيان الموت الذي لا يدري وقت حلوله حين تمنى

أن يكون قد تأخر أجله ليزيد من العمل الصالح فلا ينفعه التمني وهو تمهيد لقوله بعده «

وأنفقوا مما رزقناكم » ، فالمناسبة لهذا الانتقال هو حكاية مقال المنافقين ولذلك قدم ذكر

الأموال على ذكر الأولاد لأنها أهم بحسب السياق .

ونودي المخاطبون بطريق الموصول لما تؤذن به الصلة من التهم لامتثال النهي .

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، 28 ص 250

وخص الأموال والأولاد بتوجه الاشتغال بها اشتغالا يليهي عن ذكر الله لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إنمائها والتفكير في اكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد . ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها ، تشغل عن ذكره أيضا بالتذكير لكنزها بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها .

وأما ذكر الأولاد فهو إدماج لأن الاشتغال بالأولاد والشفقة عليهم وتدبير شؤونهم شأنه أن ينسي عن تذكر أمر الله ونهيه في أوقات وقضاء الأوقات في التأنس كثيرة فالشغل بهذين أكثر من الشغل بغيرهما .

وصيغ الكلام في قالب توجيه النهي عن الإلهاء عن الذكر ، إلى الأموال والأولاد والمراد نهى أصحابها ، وهو استعمال معروف وقرينته هنا قوله « ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » . وأصله مجاز عقلي مبالغة في نهى أصحابها عن الاشتغال بسببها عن ذكر الله ، فنزل سبب الإلهاء منزلة اللاهي للملابسة بينهما وهو كثير في القرآن وغيره كقوله « يا بني ءادم لا يفتنتك الشيطان » وقولهم لا أعرفك تفعل كذا .

و (لا) في قوله « ولا أولادكم » نافية عاطفة « أولادكم » على « أموالكم » ، والمعطوف عليه مدخول (لا) الناهية لأن النهي يتضمن النفي إذ هو طلب عدم الفعل ف (لا) الناهية أصلها (لا) النافية أشربت النهي عند قصد النهي فجزمت الفعل حملا على مضادة معنى لام الأمر فأكد النهي عن الاشتغال بالأولاد بحرف النفي ليكون للاشتغال بالأولاد حظ مثل حظ الأموال

و « ذكر الله » مستعمل في معنياه الحقيقي والمجازي .¹

¹ المرجع نفسه ص251

ثالثا : النفي ب"الن" :

ورد النفي بلم في آخر آية من السورة وذلك في قوله تعالى :

• " وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " َ الْمَنَافِقُونَ 11 وفي

ذلك يقول بن عاشور : " اعترض في آخر الكلام فالواو اعتراضية تذكيرا للمؤمنين بالأجل لكل روح عند حلولها في جسدها حين يؤمر الملك الذي ينفخ الروح يكتب أجله وعمله ورزقه وشقي أو سعيد . فالأجل المدة المعينة لحياته لا يؤخر عن أمده فإذا حضر الموت كان دعاء المؤمن الله بتأخير أجله من الدعاء الذي استجاب لأن الله قدر الآجال

وهذا سر عظيم لا يعلم حكمة تحديده إلا الله تعالى .

والنفس : الروح ، سميت نفسا أخذنا من النفس بفتح الفاء وهو الهواء الذي

يخرج من الأنف والغم من كل حيوان ذي رئة ، فسميت النفس نفسا لأن النفس يتولد منها ، كما سمي مرادف النفس روحا لأنه مأخوذ الروح بفتح الراء لأن الروح به . قال أبو بكر بن الأنباري

و « أجلها » الوقت المحدد لبقائها في الهيكل الإنساني .

ويجوز أن يراد بالنفس الذات ، أي شخص الإنسان وهو من معاني النفس كما في قوله تعالى « أن النفس بالنفس » وأجلها الوقت المعين مقداره لبقاء الحياة

و (لن) لتأكيد نفي التأخير وعموم « نفسا » في سياق النفي يعم نفوس المؤمنين وغيرهم .

ومجيء الأجل حلول الوقت المحدد للاتصال بين الروح والجسد وهو ما علمه طاقة البدن للبقاء حيا بحسب قواه وسلامته من العوارض المهلكة .

وهذا إرشاد من الله للمؤمنين ليكونوا على استعداد للموت في كل وقت ، فلا يؤخروا ما يهمهم عمله سؤال ثوابه فما من أحد يؤخر العمل الذي يسره أن يعمله وينال ثوابه إلا وهو معرض لأن يأتيه الموت عن قريب أو يفاجئه ، فعليه بالتحرز هذا التفريط في كل وقت وحال ، فربما تعذر عليه التدارك بفتاة الفوات ، أو وهن المقدره فإنه إن كان لم تطاوعه نفسه على العمل الصالح قبل الفوات فكيف يتمنى تأخير الأجل المحتوم¹

¹ المرجع نفسه ص 255، 256

سورة التغابن :

بين يدي السورة :

جاء في كتاب التفسير و التنوير في التعريف بالسورة : سميت هذه السورة « سورة التغابن » ولا تعرف بغير هذا الاسم ولم ترد تسميتها بذلك في خبر مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما ذكره ابن عطية عن الثعلبي عن ابن عمر من ان النبيء عليه قال : « ما من مولود إلا وفي تشابيك مكتوب خمس آيات فاتحة سورة التغابن » . والظاهر أن منتهى هذه الآيات قوله تعالى « والله عليم بذات الصدور » فتأمله . ورواه القرطبي عن ابن عمر ولم ينسبه إلى التعليق فلعله أخذه من تفسير ابن عطية

ووجه التسمية وقوع لفظ « التغابن » فيها ولم يقع في غيرها من القرآن .

وهي مدنية في قول الجمهور وعن الضحاك مكية . وروى الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس « أن تلك الآيات نزلت في رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا الهجرة فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتون رسول الله ﷺ الحديث . وقال مجاهد : نزلت في شأن عوف الأشجعي كما سيأتي

وهي معدودة السابعة والمائة في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الجمعة وقبل سورة الصف بناء على أنها مدنية وعدد أيها ثمان عشرة

أغراضها :

واشتملت هذه السورة على التذكير بأن من في السماء ومن في الأرض يسبحون لله ، أي ينزهونه عن النقائص تسبيحا متجددا

وأن الملك الله وحده فهو الحقيق بأفراده بالحمد لأنه خالق الناس كلهم فأمن بوحديته ناس وكفر ناس ولم يشكروا نعمه إذ خلقهم في أحسن صورة وتحذيرهم إنكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

وإنذارهم على ذلك ليعتبروا بما حل بالأمم الذين كذبوا رسلهم وجحدوا بيناتهم تكبرا أن يهتدوا بإرشاد بشر مثلهم

والإعلام بأن الله عليم بالظاهر والخفي في السماوات والأرض فلا يجري أمر في العالم إلا على ما اقتضته حكمته

وأنهى عليهم إنكار البعث وبين لهم عدم استحالة هدهم بأنهم يلقون حين يبعثون جزاء أعمالهم فإن أرادوا النجاة فليؤمنوا بالله وحده وليصدقوا رسوله ﷺ والكتاب الذي جاء به ويؤمنوا بالبعث فإنهم إن آمنوا كفرت عنهم سيئاتهم وإلا فجزأؤهم النار خالدين فيها

ثم تثبت المؤمنين على ما يلاقونه من ضر أهل الكفر فليتوكلوا على الله في أمورهم وتحذير المؤمنين من بعض قرابتهم الذين تغلغل الإشراك في نفوسهم تحذيرا من

أن يثبطوهم عن الإيمان والهجرة

وعرض لهم بالصبر على أموالهم التي صادرها المشركون .

وأمرهم بإنفاق المال في وجوه الخير التي يرضون بها ربهم وبتقوى الله والسمع له والطاعة¹

النفي في سورة التغابن :

أولاً : النفي بأداة النفي "لن"

ورد النفي ب"لن" مرة واحدة في السورة وذلك في الآية السابعة ، فيقول تعالى : زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ " التغابن 7 ، يقول السعدي في هذا الموضع : يخبر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل ، وتكذيبهم بالبعث بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فأمر أشرف خلقه أن يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق، وذلك على الله يسير فإنه وإن كان عسيرا، بل متعذرا بالنسبة إلى الخلق، فإن قواهم كلهم لو اجتمعت على إحياء ميت واحد، ما قدروا على ذلك .
وأما الله تعالى، فإنه إذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون، قال تعالى :

ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرونه².

ثانيا : النفي ب:"لا" :

• " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلِيتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " التغابن 13 جاء في تفسير القرطبي

: ... أي هونوا على أنفسكم المصائب ، واشتغلوا بطاعة الله واعملوا بكتابه ، وأطيعوا

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، 28 ص 259 ، 260 .

² السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج2، ص866

الرسول أي العمل بسنته ، فإن توليتم عن الطاعة ، فليس على الرسول الى التبليغ " الله لا اله الا هو " أي لا معبود سواه ، ولا خالق غيره ، فعليه توكلوا¹

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 377

سورة الطلاق :

بين يدي السورة :

سورة « يأيتها النبيء إذا طلقتم النساء » الخ شاعت تسميتها في المصاحف وفي كتب التفسير وكتب السنة : سورة الطلاق ولم ترد تسميتها بهذا في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم موسوم بالقبول .

وذكر في الاتقان أن عبد الله بن مسعود سماها سورة النساء القصرى أخذها مما أخرجه البخاري وغيره عن مالك بن عامر قال : كنا عند عبد الله فذكر عنده أن الحامل المتوفى عنها تعدد أقصى الأجلين (أي أجل وضع الحمل إن كان أكثر من أربعة أشهر وعشر ، وأجل الأربعة الأشهر وعشر) فقال : أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة لنزلت سورة النساء المصري بعد الطولى « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » اهـ . وفي الاتقان عن الداودي انكار أن تُدعى هذه السورة بالقصرى للتنزه عن وصف القرآن بصفة نقص ورده ابن بأن القصر أمر نسبي أي ليس مشعرا بنقص على الاطلاق . وابن مسعود وصفها بالقصرى احترازا عن السورة المشهورة باسم سورة النساء التي السورة الرابعة في المصحف التي أولها « يأيتها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » . وأما قوله الطولى فهو صفة لموصوف محذوف أي بعد السورة الطولى يعني سورة البقرة لأنها أطول القرآن ويتعين أن ذلك مراده لأن سورة البقرة التي ذكرت فيها عدة المتوفى عنها . وقد يتوهم أن سورة البقرة تسمى سورة النساء الطولى من مقابلتها بسورة النساء القصرى في كلام ابن مسعود . وليس كذلك كما تقدم في سورة النساء .

وهي مدنية بالاتفاق.

وعدد أيها اثنتا عشرة آية في عدد الأكثر . وعدها أهل البصرة إحدى عشرة آية

وهي معدودة السادسة والتسعين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد نزلت بعد سورة الإنسان وقبل سورة البينة .

وسبب نزولها ما رواه مسلم عن طريق ابن جريج عن أبي الزبير أنه سمع عبد الرحمان بن أيمن يسأل ابن عمر كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر رسول الله فقال له : ليراجعها ، فردها وقال : إذا طهرت فليطلق أو ليمسك . قال وقرأ النبيء ء : « يأيها النبيء إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن »

وظاهر قوله وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم الخ. إنها نزلت عليه ساعتئذ . ويحتمل أن تكون نزلت قبل هذه الحادثة . وقال الواحدي عن السدي : أنها نزلت في قضية طلاق ابن عمر وعن قتادة أنها نزلت أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ولم يصح . وجزم أبو بكر بن العربي بأن شيئا من ذلك لم يصح وأن الأصح أن الآية نزلت بيانا لشرع مبتدأ أغراضها :

الغرض من آيات هذه السورة تحديد أحكام الطلاق وما يعقبه من والإرضاع والإنفاق والإسكان . تنميما للأحكام المذكورة في سورة البقرة .

والإيماء إلى حكمة شرع العدة

والنهي عن الإضرار بالمطلقات والتضييق عليهن

والاشهاد على التطبيق وعلى المراجعة

وإرضاع المطلقة ابنها بأجر على الله .

والأمر بالائتثار والتشاور بين الأبوين في شأن أولادهما

وتخلل ذلك الأمر بالمحافظة الوعد بأن الله يؤيد من يتقي الله ويتبع حدوده ويجعل له من أمره يسرا ويكفر عنه سيئاته

وأن الله وضع لكل شيء حكمه لا يعجزه تنفيذ أحكامه

وأعقب ذلك بالموعظة بحال الأمم الذين عتوا عن أمر الله ورسله وهو حث للمسلمين على العمل بما أمرهم به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لئلا يحق عليهم وصف العتو عن الأمر وتشريف وحي الله تعالى بأنه منزل من السماوات وصادر عن علم الله وقدرته

تعالى .¹

النفي في سورة الطلاق :

أولا النفي ب"لم" :

ورد النفي بلم مرة واحدة في سورة الطلاق وذلك في قوله تعالى :

" وَالَّذِي يَأْتِي مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّذِي لَمْ يَحِضْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا " الطلاق 4 ، فصل النفي في هذه الآية قضية من قضايا الطلاق وذلك حسب ما جاء على لسان القرطبي في قوله : "... ولو تأخر الحيض لغير مرض ولارضاع فإنها تنتظر سنة لا حيض فيها ، تسعة أشهر ثم ثلاثة ، على ما ذكرناه ، فتحل ما لم ترتب بحمل ، فإن ارتابت بحمل أقامت أربعة أعوام ،

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، 28 ص 292 \ 294

أو خمسة ، أو سبعة ، على اختلاف الروايات عن علمائنا ، ومشهورها خمسة أعوام ، فإن تجاوزتها حلت ، وقال أشهب : لا تحل أبدا حتى تنقطع عنها الريبة ، قال ابن العربي . وهو الصحيح ، لأنه إذا جاز أن يبقى الولد في بطنها خمسة أعوام جاز أن يبقى عشرة وأكثر من ذلك ، وقد روى عن مالك مثله .

وأما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة أقوال : قال ابن المسيب : تعند سنة ، وهو قول الليث ، قال الليث : عدة المطلقة وعدة المتوفى عنها زوجها إذا كانت مستحاضة سنة وهو مشهور قول علمائنا ، سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها ، وميزت ذلك أو لم تميزه ، عدتها في ذلك كله عند مالك في تحصيل مذهب سنة ، منها تسعة أشهر استبراء وثلاثة عدة ، وقال الشافعي في أحد أقواله : عدتها ثلاثة أشهر ، وهو قول جماعة من التابعين والمتأخرين من القرويين ، ابن العربي : وهو الصحيح عندي ، وقال أبو عمر المستحاضة إذا كان دمها ينفصل فعلمت إقبال حيضتها أو إدبارها اعتدت ثلاثة قروء ، وهذا أصح في النظر ، وأثبت في القياس والأثر

قوله تعالى : « واللائئ لم يحضن » . يعني الصغيرة - فعدتهن ثلاثة أشهر ، فأضمر الخبر ، وإنما كانت عدتها بالأشهر لعدم الأقراء فيها عادة ، والأحكام إنما أجراها الله تعالى على العادات ، فهي تعند بالأشهر ، فإذا رأت الدم في زمن احتمالها عند النساء انتقلت إلى الدم لوجود الأصل ، وإذا وجد الأصل لم يبق للبدل حكم ، كما أن المسنة إذا اعتدت بالدم ثم ارتفع عادت إلى الأشهر ، وهذا إجماع¹

النفي بأداة النفي "لا" :

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 396

جاء النفي بأداة النفي لا في سورة الطلاق عدة مرات ومنها :

«يَأْيَهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفُحْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا " الطلاق 1 جاء عمل النفي بلا في هذه الآية لتبيين شروط العدة وذلك كما يقول بن عاشور : استئناف أو حال من ضمير أحصوا العدة ، أي حالة كون العدة في بيوتهن ، ويجوز أن تكون بدل اشتال من مضمون جملة أحصوا العدة لأن مكثهن في بيوتهن في مدة العدة يحقق معنى احصاء العدة

ولكلا الوجهين جردت الجملة عن الاقتران بالواو وجوازا أو وجوبا

وفي إضافة البيوت إلى ضمير النساء إيماء إلى أنهن مستحقات المكث في البيوت مدة العدة بمنزلة مالك الشيء وهذا ما يسمى في الفقه ملك الانتفاع دون العين ولأن بقاء المطلقات في البيوت اللاتي كن فيها أزواجا استصحاب لحال الزوجية إذ الزوجة هي المتصرفة في بيت زوجها ولذلك يدعوها العرب « ربة البيت » وللمطلقة حكم الزوجة ما دامت في العدة إلا في استمتاع المطلق وهذا الحكم سببه مركب من قصد المكارمة بين المطلق والمطلقة . وقصد الانضباط في علة الاعتداد تكميلا لتحقيق لحاق ما يظهر من حمل بأبيه المطلق حتى يبرأ النسب من كل شك

وجملة « ولا يخرجن » عطف على جملة « لا تخرجوهن » وهو نهي لهن عن الخروج فإن المطلق قد يخرجها فترغب المطلقة في الخروج لأنها تستقل البقاء في بيت زالت عنه سيادتها فنهاهن الله عن الخروج . فإذا كان البيت مكثرى سكنته المطلقة وكراؤه على المطلق وإذا انتهى أمد كرائه فعلى المطلق تجديده إلى انتهاء عدة المطلقة

وهذا الترتب بين الجملتين يشعر بالسببية وأن لكل امرأة معتدة حق السكنى في بيت زوجها مدة العدة لأنها معتدة لأجله أي لأجل حفظ نسبه وعرضه فهذا مقتضى الآية . ولذلك قال مالك وجمهور العلماء بوجوب السكنى للمطلة المدخول بها سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا وقال ابن أبي ليلى : لا سكنى إلا للمطلة الرجعية ، وعلى وجوب الاسكان للمطلة المدخول بها بعدة أمور : حفظ النسب ، وجبر خاطر المطلقة وحفظ عرضها . وسيجيء في هذه السورة قوله تعالى « أسكنوهن من حيث سكنتم » الآية . وتعلم أن ذلك تأكيدا لما في من وجوب الإسكان في العدة أعيد ليبين عليه قوله « من وجدكم » وما عطف عليه¹

"وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بُلُغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا" الطلاق 3 ، يقول بن عاشور في هذا المقام : "...وقوله « من حيث لا يحتسب » احتراس لئلا يتوهم أحد أن طرق الرزق معطلة عليه فيستبعد ذلك فيمسك عن مراجعة المطلقة لأنه لا يستقبل مالا ينفق منه ، فأعلمه الله أن هذا الرزق لطف من الله والله أعلم كيف يهيء له أسبابا غير مترقبة .

فمعنى من حيث لا يحتسب : من مكان لا يحتسب منه الرزق أي لا يظن أنه يرزق و (حيث) مستعملة مجازا في الأحوال والوجوه تشبيها للأحوال بالجهات لأنها لما جعلت مقارنة للرزق أشبهت المكان الذي يرد منه الوارد ولذلك كانت (من) هنا للابتداء المجازي تبعا لاستعارة حيث . ففي حرف (من) استعارة تبعية . وذكر الواحد في أسباب النزول أنها نزلت في شأن عوف بن مالك الأشجعي إذ أسر المشركون ابنه سالما فأتى عوف النبي صلى الله عليه وسلم وشكا إليه ذلك وأن أمه جزعت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتق الله واصبر » وأمره وزوجه أن يكثرا قولا لا حول ولا قوة إلا بالله فغفل المشركون عن الابن

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، 28 ص 299\300.

فساق عنزا كثيرة من عنز المشركين وجاء بها المدينة فنزلت الآية ، فيجوز أن يكون نزولها في أثناء نزول هذه السورة فصادفت الغرضين ، ويكون ذلك من قبيل معجزات القرآن¹

• " لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا " الطلاق 7 ، وفي ذلك يقول بن عاشور

: ... وجملة « لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاهها » تعليل لقوله « ومن قدر عليه رزقه

فلينفق مما آتاه الله » . لأن مضمون هذه الجملة قد تقرر بين المسلمين من قبل في قوله

تعالى « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » في سورة البقرة ، وهي قبل سورة الطلاق

والمقصود منه إقناع المنفق عليه بأن لا يطلب من المنفق أكثر من قدرته ولهذا قال علماءنا :

لا يطلق على المعسر إذا كان يقدر على إشباع المنفق عليها وإكسائها بالمعروف ولو بشظف

، أي دون ضر²

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، 28 ص 312

² محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، 28 ص 331.

سورة التحريم :

بين يدي السورة :

سورة « يأيها النبيء لم تحرم ما أحل الله لك » الخ سميت « سورة التحريم » في كتب السنة وكتب التفسير . ووقع في رواية أبي ذر الهروي لصحيح البخاري تسميتها باسم « سورة اللّم تُحرم » بتشديد اللام ، وفي الإتقان وتسمى « سورة اللّم تحرم » ، وفي تفسير الكواشي (أي بهمزة وصل وتشديد اللام مكسورة) وبفتح الميم وضم التاء محققة وتشديد الراء مكسورة بعدها ميم على حكاية جملة « لم » وجعلها بمنزلة الاسم وإخال لام تعريف العهد على ذلك اللفظ وإدغام تحرم اللامين

وتسمى « سورة النبيء » ﷺ وقال الآلوسي : إن ابن الزبير سماها « سورة النساء » .. قلت ولم أقف عليه ولم يذكر صاحب الإتقان هذين في أسمائها واتفق أهل العدد على أن عدة أيها اثنتا عشرة .

وهي مدنية . قال ابن عطية : بإجماع أهل العلم وتبعه القرطبي . وقال في الإتقان عن قتادة : إن أولها إلى تمام عشر آيات وما بعدها مكّي ، كما وقعت حكاية كلامه . ولعله أراد إلى عشر آيات ، أي أن الآية العاشرة من المكّي إذ من البعيد أن تكون الآية العاشرة مدنية والحادية عشر مكية .

وهي معدودة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة

ويدل قوله « قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » أنها نزلت بعد سورة المائدة كما سيأتي .

وسبب نزولها حادثان حدثتا بين أزواج النبي ﷺ

إحداهما : ما ثبت في الصحيح عن عائشة أن النبي ﷺ كان شرب عسلا عند إحدى نسائه اختلف في أنها زينب بنت جحش ، أو حفصة ، أو أم سلمة ، أو سودة بنت زمعة . والأصح أنها زينب . فعلمت بذلك عائشة فتواطأت هي وحفصة على أن أيتها دخل عليها تقول له « إني أجد منك ريح مغاير أكلت مغاير » (والمغاير صمغ شجر الغرط وله رائحة مختمرة) وكان النبي ﷺ يكره أن توجد منه رائحة وإنما تواطأتا على ذلك غيرة منهما أن يحتبس عند زينب زمانا يشرب فيه عسلا . فدخل على حفصة فقالت له ذلك ، فقال : بل شربت عسلا عند فلانة ولن أعود له ، أراد بذلك استرضاء حفصة في هذا الشأن وأوصاها أن لا تخبر بذلك عائشة (لأنه يكره غضبها) فأخبرت حفصة عائشة فنزلت الآيات

هذا أصح ما روي في سبب نزول هذه الآيات . والتحریم هو قوله : « ولن أعود له » (لأن النبي ﷺ لا يقول إلا صدقا وكانت سودة تقول لقد حرمناه)

والثانية ما رواه ابن القاسم في المدونة عن مالك عن زيد بن أسلم قال : حرم رسول الله أم إبراهيم جاريته فقال « والله لا أطوك » ثم قال : « هي علي حرام » فأنزل الله تعالى « يا أيها النبيء لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك »

وتفصيل هذا الخبر ما رواه الدارقطني « عن ابن عباس عن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ بأم ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها ، وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها . فقالت حفصة : تدخلها بيتي ما صنعت من بين نسائك إلا من هواني عليك . فقال لها : لا تذكرني هذا لعائشة فهي علي حرام إن قربتها . قيل : فقالت له حفصة : كيف تخرم عليك وهي جاريتك فحلف لها أن لا يقربها فذكرته حفصة لعائشة فآلى أن لا يدخل على نسائه شهرا فأنزل الله تعالى " يا أيها النبي لما تحرم ما أحل الله لك " وهو حديث ضعيف .¹

أغراضها

ما تضمنه سبب نزولها أن أحدا لا يحرم على نفسه ما أحل الله له لإرضاء أحد إذ ليس ذلك بمصلحة له ولا للذي يسترضيه فلا ينبغي أن يجعل كالنذر إذ لا . قرينة فيه وما هو بطلاق لأن التي حرما جارية ليست بزوجة ، وإنما صلاح كل جانب فيما يعود بنفع على نفسه أو بنفع به غيره نفعاً مرضياً عند الله وتنبه نساء النبي ﷺ إلى أن غيرة الله على نبيه أعظم من غيرتهن عليه واسمى مقصداً

وأن الله يطلعه على ما يخصه من الحادثات

وأن من حلف على يمين فرأى حنتها خيراً من برها أن يكفر عنها ويفعل الذي خير . وقد ورد التصريح بذلك في حديث وفد عبد القيس عن رواية أبي موسى

الأشعري ، وتقدم في سورة براءة

وتعليم الأزواج أن لا يكثرن من مضايقة أزواجهن فإنها ربما أدت إلى الملال فالكراهية فالفرار

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، 28 ص 343\345.

وموعظة الناس بتربية بعض الأهل بعضا ووعظ بعضهم بعضا

وأتبع ذلك بوصف عذاب الآخرة ونعيمها وما يفضي إلى كليهما من أعمال الناس صالحاتها وسيئاتها

وذيل ذلك بضرب مثلين من صالحات النساء وضدهن لما في ذلك من العظمة لنساء المؤمنين ولأمهاتهم¹

النفي في سورة التحريم :

ورد النفي في سورة التحريم بأداتين :

أولهما : النفي ب"لا" :

- وذلك في الآية السادسة في قوله تعالى : "يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارَا وَقُورُهَا النَّسُ وَالْحِجَارَةُ عَلِيهَا مَلَكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَّا يَعُورُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" التحريم 6 ، جاءت لا لنفي عصيان الملائكة لله تعالى وذلك ما جاء في تفسير الآية للقرطبي في قوله : ... أي لا يخالفونه في أمره من زيادة أو نقصان ، ويفعلون ما يؤمرون « أي في وقته فلا يؤخرونه ولا يقدمونه ، وقيل : أي لذتهم في امتثال أمر الله ، كما أن سرور أهل الجنة في الكون في الجنة ، ذكره بعض المعتزلة ، وعندهم أنه يستحيل التكليف غدا ، ولا يخفى معتقد أهل الحق في أن الله يكلف العبد اليوم وغدا ، ولا ينكر التكليف في حق الملائكة ، والله أن يفعل ما يشاء .²

ثانيهما : النفي بلم :

¹ المرجع السابق : ص 345

² أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 420 .

- وذلك في الآية العاشرة كما يقول تعالى : "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ" التحريم 10 ،يقول القرطبي في تفسير الآية : ... ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيها على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسبب إذا فرق بينهما الدين وكان اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والعة ، قاله مقاتل ، وقال الضحاك عن عائشة فا : إن جبريل نزل على النبي ﷺ فأخبره أن اسم امرأة نوح واغلة علي واسم امرأة لوط والهة و فخانتاهما « قال عكرمة والضحاك : بالكفر ، وقال سليمان بن رقة عن ابن عباس : كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون ، وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه ، وعنه : ما بغت امرأة نبي قط ، وهذا إجماع من المفسرين فيما ذكر القشيري ، إنما كانت خيانتها في الدين وكانتا مشركتين ، وقيل : كانتا منافقتين ، وقيل : خيانتها النميمة إذا أوحى الله إليهما شيئا أفشاه إلى المشركين ، قاله الضحاك ، وقيل : كانت امرأة لوط إذا نزل به ضيف دخنت لتعلم قومها أنه قد نزل به ضيف ، لما كانوا عليه من إتيان الرجال * فلم يغنيا عنهما من الله شيئا « أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتها على الله تعالى عن زوجتيهما . لما عصتا . شيئا من عذاب الله ، تنبيها بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة ، ويقال : إن كفار مكة استهزءوا وقالوا : إن محمدا ﷺ يشفع لنا ، فبين الله تعالى أن شفاعته لا تنفع كفار مكة وإن كانوا أقرباء ، كما لا تنفع شفاعته نوح لامراته وشفاعة لوط لا مراته ، مع قربهما لهما لكفرهما ، وقيل لهما : * ادخلا النار مع الداخلين « في الآخرة كما يقال لكفار مكة وغيرهم ثم قيل :

يجوز أن تكون « امرأت نوح » بدلاً من قوله : « مثلاً على تقدير حذف المضاف ، أي ضرب الله مثلاً مثل امرأة نوح ، ويجوز أن يكونا مفعولين ¹.

¹ المرجع نفسه ، ص 424

المبحث الثاني : وظائف الإثبات في جزء قد سمع :

مدخل :

عند رؤية الاثبات من جانب كونه أسلوبا خبريا فإننا ثلاث أقسام للجمل الخبرية المثبتة هي : الابتدائية و الطلبية و الانكارية ، ورحم الله السكاكي اذ عددها في مفتاحه للعلوم حيث يفصلها كما يلي :

الخبر الابتدائي :

من المعلوم أن حكم العقل حال إطلاق اللسان ، هو أن يفرغ المتكلم في قالب الإفادة ما ينطق به تحاشيا عن وصمة اللاغبة ، فإذا اندفع في الكلام مخبرا ، لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك ، إفادته للمخاطب ، متعاطيا مناطها بقدر الافتقار . فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقي إليه ، ليحضر طرفاها عنده ، وينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتا أو انتفاء ، كفى في ذلك الانتقاش حكمه ، ويتمكن لمصادفته إياه خاليا :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى . . فصادف قلبي خاليا فتمكنا

الخبر الطلبي :

فتستغنى الجملة عن مؤكدات الحكم ، وسمي هذا النوع من الخبر : ابتدائيا .
وإذا ألقاها إلى طالب لها ، متحير طرفاها عنده دون الاستناد ، فهو منه بين بين ، لينقذه عن ورطة الحيرة ، استحسنت تقوية المنقذ بإدخال اللام في الجملة ، أو إن ، كنحو
لزيد عارف ، أو إن زيدا عارف .

وسمي هذا النوع من الخبر : طلبيا .

الخبر الإنكاري :

وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه ، ليرده إلى حكم نفسه ، استوجب حكمه ليترجح تأكيدا

بحسب ما أشرب المخالف الانكار في اعتقاده ، كنحو : " إني صادق " ، لمن ينكر

صدقك إنكارا ، " وإني لصادق " ، لمن يباليغ في إنكار صدقك ، " ووالله إني لصادق

على هذا ، وإن شئت فتأمل كلام رب العزة علت كلمته : « إذ أرسلنا إليهم اثنين

فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل

الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . حيث قال أولا :

« إنا إليكم مرسلون » . وقال ثانيا : « إنا إليكم لمرسلون » .

كيف يقرر ما ألقى إليك ، ويسمى هذا النوع من الخبر : إنكاريا .¹

¹ أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دط ، ص 258 .

الإثبات في جزء قد سمع :

أنماذج من الضرب الابتدائي :

"وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" المجادلة 10 ، أسلوب خبري ابتدائي ، وفي هذا الباب قال بن عاشور : " ... ولهذا ذيل بقوله « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » لأنهم إذا توكلوا على الله توكلوا حقا بأن إستفرغوا وسعهم في التحرز من كيد الشيطان واستعانوا بالله على تيسير أمورهم والله يحفظهم من كيد الشيطان قال تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه »¹

"هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ" الحشر 24 أسلوب خبري ابتدائي ، قوله تعالى و هو الله الخالق البارئ المصور « الخالق » هنا المقدر ، و « البارئ المنشئ المخترع ، و « المصور » مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة ، فالتصوير مرتب على الخلق والبرائة وتابع لهما ، ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل ، وخلق الله الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق : جعله علقه ، ثم مضغة ، ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وقال

النابغة :

الخالق البارئ المصور في الـ أرحام ماء حتى يصير

وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير ، وليس كذلك ، وإنما التصوير آخرا والتقدير أولا والبرائة بينهما ، ومنه قوله الحق : « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير » ، وقال زهير :

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، 28 ص 36 .

ولأنت تفرى ما خلقت وبع ض القوم يخلق ثم لا يفرى

يقول : تقدر ما تقدر ثم تفرىه ، أي تمضيه على وفق تقديرك ، وغيرك يقدر ما لا يتم له ' ولا يقع فيه مراده ، إما لقصوره في تصور تقديره أو لعجزه عن تمام مراده ، وقد أتينا على هذا كله في (الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) والحمد لله ، وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ « البارئ المصور » بفتح الواو ونصب الراء ، أي الذي يبرأ المصور ، أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات ، ذكره الزمخشري « له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم تقدم الكلام فيه ، وعن أبي هريرة قال : سألت خليلي أبا القاسم رسول الله ام عن اسم الله الأعظم فقال : « يا أبا هريرة ، عليك بأخر سورة الحشر فأكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد على ، فأعدت عليه فأعاد على ، وقال جابر بن زيد : إن اسم الله الأعظم هو الله لمكان هذه الآية ، وعن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ، وعن أبي أمامة قال : قال النبي ﷺ من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فقبضه الله في تلك الليلة أو ذلك اليوم فقد وجب الله له الجنة »¹

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" التغابن 1 أسلوب خبري ابتدائي ، لما كان جل ما اشتملت عليه هذه السورة إبطال إشرارك المشركين وزجرهم عن دين الإشرارك بأسره وعن تفاريحه التي أعظمها إنكارهم البعث وتكذيبهم الرسول وتكذيب القرآن وتلك أصول ضلالهم ابتدئت السورة بالإعلان بضلالهم وكفرانهم المنعم عليهم ، فإن ما في السموات والأرض يسبح الله تعالى عن النقائص : إما بلسان المقال مثل الملائكة والمؤمنين أو بلسان الحال مثل عبادة المطيعين من المخلوقات المدركة كالملائكة والمؤمنين ، وإما بلسان الحال مثل دلالة حال الاحتياج إلى الإيجاد والإمداد كحاجة الحيوان إلى الرزق وحاجة الشجرة إلى المطر وما يشهد

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 302 303 .

به حال جميع تلك الكائنات من أنها مربوبة الله تعالى ومسخرة لما أَرادَه منها . وكل تلك المخلوقات لم تنقض دلالة حالها بنقائض كفر مقالها فلم يخرج عن هذا التسبيح إلا أهل الضلال من الإنس والشياطين فإنهم حجبا بشهادة حالهم لما غشوها به من صرح الكفر فالمعنى : يسبح الله ما في السماوات والأرض وأنتم بخلاف ذلك .

وهذا يفيد ابتداء تقرير تنزيه الله تعالى وقوة سلطانه ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويكون لهم تعليما وامتنانا ويفيد ثانيا بطريق الكناية تعريضا بالمشركين الذين لم ينزهوه ولا وقروه فنسبوا إليه شركاء .

وجيء بفعل التسبيح مضارعا للدلالة على تجدد ذلك التسبيح ودوامه وقد سبق نظيره في فاتحة سورة الجمعة .

وجيء به في فواتح سور : الحديد ، والحشر ، والصف بصيغة الماضي للدلالة على أن التسبيح قد استقر في قديم الأزمان . فحصل من هذا التقنن في فواتح هذه السور كلا المعنيين زيادة على ما بيناه من المناسبة الخاصة بسورة الجمعة ، وما في هاته السورة من المناسبة بين تجدد التسبيح والأمر بالعفو عن ذوي القربى والأمر بالتقوى بقدر الاستطاعة والسمع والطاعة لكي لا يكتفي المؤمنون بحصول إيمانهم ليجتهدوا في تعزيزه بالأعمال الصالحة

وإعادة (ما) الموصولة في قوله « وما في الأرض » لقصد التوكيد اللفظي . وجملة « له الملك » استئناف واقع موقع التعليل والتسبب لمضمون تسبيح الله ما في السماوات وما في الأرض فإن ملابسة جميع الموجودات لدلائل تنزيه الله تعالى عن الشركاء وعن النقائض لا مقتضى لها إلا انفراده بملكها وإيجادها وما فيها من الاحتياج إليه وتصرفه فيها تصرف المالك المتفرد في ملكه

وفي هذه الجملة تتويه بإقبال أهل السماوات والأرض على تسبيح الله وتجديد ذلك التسبيح فتقديم المسند على المسند إليه لإفادة تخصيصه بالمسند إليه ، أي قصر تعلق لام الاستحقاق بالملك عليه تعالى فلا ملك لغيره وهو قصر ادعائي مبني على عدم الاعتداد بما لغير الله من ملك لنقصه وعدم خلوه عن الحاجة إلى غيره من له بخلاف ملكه تعالى فهو الملك المطلق الداخل في سلطانه كل ذي ملك .¹

با نماذج من الضرب الطلبي :

" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّكُ فِي زَوْجِهَا " المجادلة 1 ، أسلوب خبري طلبي وفي ذلك يقول القرطبي : "... قرئ « قد سمع الله » بالإدغام و « قد سمع الله » بالإظهار ، والأصل في السماع إدراك المسموعات ، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن ، وقال ابن فورك : الصحيح أنه إدراك المسموع ، وقال الحاكم أبو عبد الله في معنى السميع : إنه المدرك للأصوات التي يدركها المخلوقون بأذانهم من غير أن يكون له أذن ، ذلك راجع إلى أن الأصوات لا تخفى عليه ، وإن كان غير موصوف بالحس المركب في الأذن ، كالأصم من الناس لما لم تكن له هذه الحاسة لم يكن أهلاً لإدراك الصوت ، والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة والحياة والإرادة ، فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه وتعالى متصفا بهما ، وشكى واشتكى بمعنى واحد ، وقرئ « تحاورك » أي تراجعك الكلام و « تجادلك » أي تسائلك²

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التتوير ، 28 ص 261 .

² أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 225 .

" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " الممتحنة 4 أسلوب خبري طلبى ، صدر هذه الآية يفيد تأكيدا لمضمون جملة « إن يتفوقكم » وجملة . « لن تتفعلكم أرحامكم » ، ، لأنها بما تضمنته من أن الموجه إليهم التوبيخ خالفوا الأسوة الحسنة تقوي إثبات الخطا المستوجب للتوبيخ ذلك أنه بعد الفراغ من بيان خطأ من يوالى عدو الله بما يجر إلى أصحابه من مضار في الدنيا وفي الآخرة تحذيرا لهم من ذلك ، انتقل إلى تمثيل الحالة الصالحة بمثال من فعل أهل الإيمان الصادق والاستقامة القويمة وناهيك بها أسوة

وافتح الكلام بكلمتي « قد كانت » لتأكيد الخبر ، فإن (قد) مع فعل الكون يراد بهما التعريض بالإنكار على المخاطب ولومه في الإعراض عن العمل بما تضمنه الخبر كقول عمر لابن عباس يوم طعنه غلام المغيرة : « قد كنت أنت وأبوك تُحبان أن يكثر هؤلاء الأعلج بالمدينة » ، ومنه قوله تعالى « لقد كنت في هذا فكشفنا عنك غطاءك » توبيخا على ما كان منهم في الدنيا من إنكار للبعث ، وقوله تعالى « وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » وقوله « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان الآخر » ويتعلق « لكم » بفعل « كان » ، أو هو ظرف مستقر وقع موقع الحال من « أسوة حسنة »¹

"قَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيْسَ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ" الممتحنة 13 أسلوب خبري طلبى، بعد أن استقصت السورة إرشاد المسلمين إلى ما يجب في المعاملة المشركين ، جاء في خاتمتها الإرشاد إلى المعاملة مع قوم ليسوا دون المشركين في وجوب الحذر منهم وهم اليهود ، فالمراد بهم غير المشركين إذ شبه بأسهم من الآخرة بيأس الكفار ، فتعين أن هؤلاء غير المشركين لنلا يكون من تشبيه الشيء بنفسه.

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التوير ، 28 ص 143.

وقد نعتهم الله بأنهم قوم غضب الله عليهم ، وهذه صفة تكرر في القرآن إلحاقها باليهود كما جاء في سورة الفاتحة أنهم المغضوب عليهم . فتكون هذه الآية مثل قوله تعالى « يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » في سورة العنكبوت .

ذلك أن يهود خيبر كانوا يومئذ بجوار المسلمين من أهل المدينة . وذكر الواحدي في أسباب النزول : أنها نزلت في ناس من فقراء المسلمين يعملون عند اليهود ويواصلونهم ليصيبوا بذلك من ثمارهم ، وربما أخبروا اليهود بأحوال المسلمين غفلة وقلّة حذر فنبههم الله إلى أن لا يتولّوهم

والياس : عدم توقع الشيء فإذا علق بذات كان دالا على عدم توقع وجودها وإذ قد كان اليهود لا ينكرون الدار الآخرة كان معنى ياسهم من الآخرة محتملا أن يراد به الإعراض عن العمل للآخرة فكأنهم في إهمال الاستعداد لها آيسون منها ، قوله تعالى في شأنهم « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا ينصرون » في سورة البقرة

وتشبيهه إعراضهم هذا بياس الكفار من أصحاب القبور وجهه شدة الإعراض وعدم التفكير في الأمر ، شبه إعراضهم عن العمل لنفع الآخرة بياس الكفار من حياة الموتى والبعث وفيه تشبيع المشبه ، ومن أصحاب القبور على هذا الوجه متعلق بـ « يئسوا » . والكفار : المشركون .

ويجوز أن يكون « من أصحاب القبور » بيانا للكفار ، أي الكفار الذين هلكوا ورأوا أن لا حظ لهم في خير الآخرة فشبه إعراض اليهود عن الآخرة بياس الكفار من نعيم الآخرة ، ووجه الشبه تحقق عدم الانتفاع بالآخرة . والمعنى كياس الكفار الأموات ، أي يأسا من الآخرة .

والمشبه به معلوم للمسلمين بالاعتقاد فالكلام من تشبيه المحسوس بالمعقول.

وفي استعارة اليأس للإعراض ضرب من المشاكلة أيضا .

ويحتمل أن يكون يأسهم من الآخرة أطلق على حرمانهم من نعيم الحياة الآخرة . فالمعنى : قد أيأسناهم من الآخرة على نحو قوله تعالى « والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي » في سورة العنكبوت

ومن المفسرين الأولين من حمل هذه الآية على معنى التأكيد لما في أول السورة من قوله « يأياها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء » فالقوم الذين غضب الله عليهم هم المشركون فإنهم وصفوا بالعدو الله والعدو مغضوب عليه ونسب هذا إلى ابن عباس . وجعل يأسهم من الآخرة هو إنكارهم البعث .

وجعل تشبيه يأسهم من الآخرة بيأس الكفار من أصحاب القبور أن يأس الكفار الأحياء كياس الأموات من الكفار ، أي كياس أسلافهم الذين هم في القبور إذ كانوا في مدة حياتهم آيسين من الآخرة فتكون (من) بيانية صفة للكفار ، وليست متعلقة بفعل « يئس » فليس في لفظ « الكفار » إظهار في مقام الإضمار وإلا لزم أن يشبه الشيء بنفسه كما قد توهم¹ .

"إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ" التغابن 14 أسلوب خبري طلبی، أخرج الترمذي « عن ابن عباس أن رجلا سأله عن هذه الآية فقال : هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ، فلما أتوا النبي ﷺ (أي بعد مدة وجاء معهم أزواجهم وأولادهم) ورأوا الناس قد فقهوا في الدين (أي سبقوهم بالفقه في الدين لتأخر هؤلاء عن الهجرة فهموا أن يعاقبوهم على ما تسببوا لهم حتى سبقهم الناس إلى الفقه في الدين فأنزل الله هذه الآية (أي حتى قوله « وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ») . وهو الذي اقتصر عليه الواحدي في أسباب النزول ومقتضاه أن الآية مدنية «

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، 28 ص 261 .

وعن عطاء بن يسار وابن عباس أيضا أن هذه الآية نزلت بالمدينة في شأن عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورفقوه وقالوا : إلى من تدعنا ، فيرق لهم فيقعد عن الغزو . وشكا ذلك إلى النبيء فنزلت هذه الآية في شأنهم . فهذه الآية مستأنفة استئنفا ابتدائيا ويكون موقعها هذا سبب نزولها صادم أن كان عقب ما نزل قبلها من هذه السورة .

والمناسبة بينها وبين الآية التي قبلها لأن كليهما تسلية على ما أصاب المؤمنين من غم من معاملة أعدائهم إياهم ومن انحراف بعض أزواجهم وأولادهم عليهم . وإذا كانت السورة كلها مكية كما هو قول الضحاك كانت الآية ابتداء إقبال على تخصيص المؤمنين بالخطاب بعد قضاء حق الغرض الذي ابتدئت به السورة على عادة القرآن في تعقيب الأغراض بأضدادها من ترغيب أو ترهيب ، ، وثناء أو ملام ، أو نحو ذلك ليوفى الطرفان حقيهما ، وكانت تنبيهها للمسلمين لأحوال في عائلاتهم قد تخفى عليهم ليأخذوا حذرهم ، وهذا هو المناسب لما قبل الهجرة كان المسلمون بمكة ممتزجين مع المشركين بوشائج النسب والصهر والولاء فلما ناصبهم المشركون العدا لمفارقتهم دينهم وأضمروا لهم الحقد وأصبحوا فريقين كان كل فريق غير خال من أفراد متفاوتين في المضادة تبعا للتفاوت في صلابة الدين ، وفي أوامر القرابة والصهر ، وقد يبلغ العدا إلى نهاية طرفه فتدحض جميع الأوامر الأشد قربا أشد مضرة على قريبه من مضرة البعيد

فأيقظت هذه الآية المؤمنين لئلا يغرمهم أهل قرابتهم فيما توهم من جانب غرورهم فيكون ضرهم أشد عليهم وفي هذا الإيقاظ مصلحة للدين وللمسلمين ولذلك قال تعالى « فاحذروهم » ولم

يأمر بأن يضروههم ، وأعقبه بقوله « وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم » ، جمعا بين الحذر وبين المسالمة وذلك من الحزم¹

"قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ" التحريم 2 أسلوب خبري طلبى، قوله تعالى : " قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم " تحليل اليمين كفارتها ، أي إذا أحببتم استباحة المحلوف عليه ، وهو قوله تعالى في سورة « المائدة » « فكفارته إطعام عشرة مساكين » (٢) ويتحصل من هذا أن من حرم شيئا من المأكول والمشروب لم يحرم عليه عندنا ، لأن الكفارة لليمين لا للتحريم على ما بيناه ، وأبو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ، ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه ، فإذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية ، وإن نوى الظهار فظهار ، وإن نوى الطلاق فطلاق بائن ، وكذلك إن نوى ثنتين أو ثلاثا وإن قال : نويت الكذب دين فيما بينه وبين تعالى ، ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء ، وإن قال : كل حلال عليه حرام ، فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو ، وإلا ما نوى ، ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن ، وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده ، على ما تقدم بيانه ، فإن حلف ألا يأكله حنث ويبر بالكفارة².

ج نماذج من الضرب الإنكاري :

"لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي" المجادلة 21 أسلوب خبري إنكاري ، أراد الله أن يكون رسوله ﷺ غالبا لأعدائه وذلك من آثار قدرة الله التي لا يغلبها شيء وقد كتب لجميع رسله الغلبة على أعدائهم ، فغلبتهم من غلبة الله إذ قدرة الله تتعلق بالأشياء على وفق إرادته وإرادة الله لا يغيرها شيء ، والإرادة تجرى على وفق العلم ومجموع توارد العلم والإرادة والقدرة على الموجود هو المسمى

¹ المرجع السابق ، ص 283 .

² أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 412411

بالقضاء وهو المعبر عنه هنا بـ « كتب الله » لأن الكتابة استعيرت لمعنى : قضى الله ذلك وأراد وقوعه في الوقت الذي علمه وأراده فهو محقق الوقوع لا يتخلف مثل الأمر الذي يراد ضبطه وعدم الإخلال به فإنه يكتب لكي لا ينسى ولا ينقص منه شيء ولا يجد التراضي عليه فثبت لرسوله ﷺ الغلبة لشمول ما كتبه الله لرسوله إياه وهذا إثبات لغلبة رسوله أقواما يحادونه بطريق برهاني .

فجملته « لأغلبن » مصوغة صيغة القول ترشيحا لاستعارة « كتب » إلى معنى قضى وقدر . والمعنى : قضى مدلول هذه الجملة ، أي قضى بالغلبة الله ورسوله عليه ، فكأن هذه الجملة هي المكتوبة من الله . والمراد : الغلبة بالقوة لأن الكلام مسوق مساق التهديد . وأما الغلبة بالحجة فأمر معلوم .

وجملة « إن الله قوي عزيز » تعليل لجملة « لأغلبن » لأن الذي يغالب الغالب مغلوب . قال حسان :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن غالب الغلاب¹

"لأنتم أشد رهبة في صدورهم" الحشر 13 أسلوب خبري إنكاري ، يفقهون قوله تعالى : « لأنتم " يا معشر المسلمين " أشد رهبة " أي خوفا وخشية و في صدورهم من الله » يعنى صدور بني النضير ، وقيل : في صدور المنافقين ، ويحتمل أن يرجع إلى الفريقين ، أي يخافون منكم أكثر مما يخافون من ربهم ذلك الخوف " ذلك بأنهم قوم لا يفقهون " أي لا يفقهون قدر عظمة الله وقدرته .²

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، 28 ص 57

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ص 292

خاتمة:

نخلص إلى أن هذا البحث أسفر على جملة نتائج، نعرضها على النحو التالي:

-أسبقية الدراسة النحوية على الدراسة البلاغية، باعتبار أن أسلوب النفي حظي بالدراسة الوافية من قبل النحويين، في حين نجد البلاغيين اهتموا أكثر بدراسة الأساليب الإنشائية الطلابية كالاستفهام، والنهي والأمر...

-النفي على أربعة أنواع:النفي المحض، النفي غير المحض، نفي الفعل ، نفي النفي

-النفي هو من معاني الحروف:لم، لن، ما، إن، لات، لا، والفعل الناقص ليس.

-يتمظهر النفي في عدة صور، فهو إما أن يتسلط على المعرفة، وإما أن يتسلط على النكرة.

-الفرق الكامن بين الجحد والنفي، فالنفي هو الأصل والأعم، في حين أن الجحد جزء من النفي، فكل جحد نفي، وليس كل نفي جحدا.

-أن يكون المنفي عنه يتصف بذلك الشيء حقا، وأن يكون المنفي بعد حرف النفي.

-نفي الذات الموصوفة قد يكون نفيًا للصفة دون الذات، وقد يكون نفيًا للذات.

-نفي العام يدل على نفي الخاص، وثبوته لا يدل على ثبوته، وثبوت الخاص يدل على

ثبوت العام، ولا

يدل نفيه على نفيه.

-التأكيد على أهمية الدراسة الوظيفية لمواضيع النحو العربي لأنها كفيلة برد الاعتبار للمعنى في الدرس النحوي

-ومن خلال دارستنا لجزء قد سمع تراءى لنا أنه يشتمل على العديد من الجمل المنفية

والأدوات الجلية والأكثر غلبة هي: ما، لا، إن ولم في بعض المواضع.

وجملا مثبتة يتلون فيها الخبر في ثلاثة أوجه (ابتدائي و طلبي وإنكاري) .

وختاما نقول: إن النص القرآني نص مقدس ذو تأويل، ليس بمقدور أي كان بيانه والدليل قول ربنا عز وجل: "وما يعلم تأويله إلا الله."

ونسأل الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا، ولو بنسبة قليلة في الإمام بعناصر هذا الموضوع ،
وأفدنا

غيرنا كما استقدنا نحن فله الحمد والشكر، وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

الموضوع :	الصفحة :
اهداء	
شكر وعرافان	
مقدمة	أ- ج
الفصل الأول : مدخل إلى أسلوب النفي و الإثبات	21-4
المبحث الأول :أسلوب النفي	5
مدخل	5
مفهوم النفي	7
أ- لغة	7
ب- اصطلاحا	7
أساليب النفي	8
1 النفي الصريح:	8
أ - النفي في الحال	8
ب - النفي الماضي	8
ج -النفي في المستقبل	9
2النفي الضمني:	9
أدوات النفي:	10

10	لا:
11	ليس
11	ما:
13	إن :
14	أنواع ان غير النافية
14	لات
15	لم
16	لما :
17	لن:
18	المبحث الثاني : أسلوب الإثبات
18	مفهوم الإثبات:
18	أ . الإثبات لغة:
18	ب . الإثبات اصطلاحا:
19	الجملة و الكلام
98 - 21	الفصل الثاني : وظائف النفي و الاثبات في جزء قد سمع
22	المبحث الأول : وظائف النفي في جزء قد سمع
22	مدخل :
22	أولا : سورة المجادلة :
22	بين يدي السورة :
22	أغراضها :
23	ب : أسلوب النفي في سورة المجادلة :
23	النفي بلم
26	النفي ب"لا"

28	3 النفي بلن :
30	ثانيا : سورة الحشر :
30	بين يدي السورة
31	أسلوب النفي في سورة الحشر
31	النفي بما :
32	النفي بلا :
36	ثالثا : سورة الممتحنة :
36	بين يدي السورة
38	النفي في سورة الممتحنة :
38	النفي بلم :
41	النفي ب"لا" :
44	النفي ب"لن" :
46	رابعا : سورة الصف :
46	بين يدي السورة :
48	أغراضها
49	النفي في سورة الصف
49	النفي ب"لا" :
51	سورة الجمعة :
51	بين يدي السورة
53	أغراضها
53	النفي في سورة الجمعة
53	النفي بلم :
55	النفي ب"لا" :

58	سورة المنافقين :
58	بين يدي السورة
60	أغراضها
61	النفى في سورة المنافقين :
61	أولا : النفي بأداة النفي "لم" :
61	ثانيا : النفي ب"لا" :
64	ثالثا : النفي ب"ن" :
67	سورة التغابن :
67	بين يدي السورة
67	أغراضها :
69	النفى في سورة التغابن :
69	أولا : النفي ب"ن" "
69	ثانيا : النفي ب:"لا" :
71	سورة الطلاق :
71	بين يدي السورة
72	أغراضها :
73	النفى في سورة الطلاق :
73	أولا النفي ب"لم" :
75	النفى ب "لا" :
79	سورة التحريم :
79	بين يدي السورة
81	أغراضها
82	النفى في سورة التحريم :

82	أولهما : النفي ب"لا" :
83	ثانيهما : النفي بلم
85	المبحث الثاني : وظائف الإثبات في جزء قد سمع
85	مدخل :
87	الإثبات في جزء قد سمع :
87	أنماذج من الضرب الابتدائي :
91	با نماذج من الضرب الطلبي :
97	جا نماذج من الضرب الإنكاري :
100-98	خاتمة
101	فهرس الموضوعات
106	المصادر و المراجع

1. القرآن الكريم .
2. إبراهيم قلاتي: قصة الإعراب - الأدوات، المكتبة الوطنية الجزائرية، دار الهدى، الجزائر، بدون طبعة، بدون سنة.
3. ابن منظور، لسان العرب ج13، دار صادر، بيروت، ط2005، 5.
4. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1991، ج2.
5. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1993، 1.
6. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث القاهرة، ط2002 مجلد 9.
7. أبو عثمان بن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد الهنداوي، مج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.
8. أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، تح: عبد الحميد هنداوي، دط، ص.
9. أحمد ماهر البقري: أساليب النفي في القرآن، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، 1989.
10. اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية تح. أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.
11. إميل بديع، ميشال عاص، المعجم المفصل في اللغة و الأدب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.
12. إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، دط.
13. بن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء3، دار التقوى، القاهرة، دط، 2006.

14. بن هشام الأنصاري ، معنى اللبيب عن كتب الأعراب ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1991 ، ج2
15. بن يعيش (ابن علي) ، شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر
16. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، 1997
17. الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م،
18. الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2 1983 ،
19. السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج2 ،مؤسسة الرسالة، د بلد النشر ، دط، 2000.
20. عبد الجبار فتحي زيدان: دراسات في النحو القرآني، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد القاهر ط1، 2006
21. عبد القاهر بن عبد الحمان بن محمد الجرجاني، دلائل الاعجاز ، ط5 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 2004 ،
22. علي بن محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ساحة رياض الصلح ، بيروت ، 1985
23. محسن علي عطية، الأساليب النحوية عرض وتطبيق، ط1 ،دار المناهج، عمان، الأردن، 2007م،
24. محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر ، دط الجزء 28
25. محمد علي الصابوني ، صفوة التفسير ، دار القرآن الكريم بيروت ط 1981 مج3

26. محي الدين ديب ، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003،
27. -مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، دار الشرق العربي، الطبعة الأولى، 2006.
28. مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد و توجيه ، ط2 ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1986
- الرسائل الجامعية :
- جمال محمد النحال: أساليب النفي والتوكيد في شعر رثاء شهداء الأقصى
- حارث عادل محمد زيود: بناء الجملة الفعلية بين النفي والإثبات في سورة آل عمران ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين. سنة 2008.

ملخص البحث :

تحفل اللغة العربية بالعديد من الأساليب اللغوية وتختلف هذه الأساليب وتتنوع إلى عدة أنواع ، ويتمحور موضوع بحثنا حول أسلوبين متقابلين أحدهما يعنا بالإنكار و الدحض و الآخر يعنى بالتأكيد و الثبوت وهما النفي و الإثبات ، ولكون كلام الله تبارك وتعالى أثرى أوعية اللغة العربية بالأساليب و أشدها توسعا وشمولا لكل قضايا اللغة ، ولكون جزء قد سمع جزءاً ثريا بتوجيهات الله عز و جل التي تحمل إما الإقبال على القيام بالفعل أو الابتعاد عنه فهو أثرى الأجزاء بالنسبة لهذه الدراسة ، وفي دراسة هذه القضايا كان المنهج الوظيفي أنسب المناهج للبحث في وظائف الأساليب اللغوية في القرآن الكريم .

كلمات مفاتيح :

القرآن الكريم ، جزء " قد سمع " ، النفي ، الإثبات ، الأسلوب ، اللغة ، الوظيفة.

Résumé de la recherche :

La langue arabe est pleine de nombreuses méthodes linguistiques et ces méthodes varient et varient en plusieurs types, et le sujet de notre recherche tourne autour de deux méthodes opposées, dont l'une concerne le déni et la réfutation et l'autre signifie certainement la preuve, à savoir l'exil et la preuve, et parce que les paroles de Dieu se vantent et exaltent les récipients les plus riches de la langue arabe dans les méthodes et les plus étendues et les plus complètes pour toutes les questions linguistiques, et parce qu'une partie a entendu une partie riche des directives de Dieu, qui porte soit l'exigence de faire réellement ou de rester à l'écart À son sujet, ce sont les parties les plus enrichissantes pour cette étude, et dans l'étude de ces questions, le programme fonctionnel était le programme le plus approprié pour rechercher les fonctions des méthodes linguistiques dans le Saint Coran .

Mots-clés :

Coran, partie « 28 », déni, preuve, style, langue, fonction